دكتور محمد عبد الظاهر الطيب

الموضوعية والذاتية

الموضوعية والذاتية فى علم النفس

دكتور محمد عبد الظاهر الطيب

مدرس الصحة النفسية

كلية التربية ـ جامعة طنطا

الطبعة الأولى

١٩٨٠



دار المعارف

الناشر : دار المعارف ـ ١١١٩ كورنيش النيل ـ القاهرة ـ ج٠م٠ع

بسم الله الرحمن الرحيم

إهداء

والـــدى :-

الذى علمنى كيف اقـــــرا وكيف اكتب.

وكيف ومتى اتكلم

وكيف ومتى اصمت

الى روحه الطاهرة اهدى هذه الصفحات.

فهرس

تقـديم

فى مطلع ١٩٧٧ وعندما كنت على وشـك الانتهـاء من اعـداد رسـالتى الدكتوراة « دراسة تحليلية مقارنة لتبين مدى امكانية تشخيص العصـاب القهرى باستخدام اختبار تفهم الموضوع »

خطر لى أن اتعرض لمشكلة الموضوعية والذاتية فى علم النفس فى معرض حديثى عن المنهج الكلينيكى وهو المنهج الذى استخدمته فى دراستى • وبالفعل افردت فصلا كاملا فى الرسالة ناقشت فيه هـذه القضـية (١) واختلفت آراء الاساتذه اعضاء لجنة المناقشة (٢) حول اهمية هذه المشكلة بالنسبة لموضوع الرسالة وان كانوا قد اتفقوا على أنها اعسر مشكلة فى علم النفس على الاطلاق•

ومضى الوقت ووجدتنى تواقا للعودة الى هذه المشكلة احاول ان اتحسس ابعادها مرة ثانية • ولست أدعى اننى قد بلغت بها الى نهايتها ، أو أننى أزحت عنها ظلال الغموض • ولكن كل ما فعلته اننى بدأت طرح المشكلة فى عام ١٩٧٧ وعدت اليها اليوم وأرجو أن أعود اليها فى القريب فهى قضية عمر ، بل هى قضية أجيال ولذا فان طرحى لها هو دعوة مفتوحة لعلماء النفس فى مصر وفى العالم العربى للاسهام فيها بفكرهم •

والله الموفق ••••

د • محمد عبد الظاهر الطيب

٢٣ ربيع ١٤٠٠

٩ مارس ١٩٨٠

---

(١) لجنة المناقشة تكونت من السادة الأساتذة الدكاترة عبد العزيز القوصى وصلاح مخيمر وابراهيم وجيه •

(٢) انظر كتاب المؤلف « العصاب القهرى » ١٩٧٧ طنطا • مكتبة سماح الفصل الثالث •

مقدمة

« ان تاريخ المعرفة ، سلسلة من النضال بين المألوف وغير المألوف ، فنحن لانفطن لمعارف جديدة ، دون جهاد ضد معارف سابقة ، واذا كان ذلك يصدق على كل العلوم ، فانه يصدق أكثر ما يصدق على العلم بأحوال النفس، لأن ادراك الجديد عنها ، تقويض لألفتنا بها ، حتى لنكاد نمسى غرباء عن انفسنا ٠ ومن ثم كان طريق المعرفة بأعماق النفس ، محفوظا بالاشفاق ، والاشفاق معوق للمعرفة » ٠ (مصطفى زيور ، ١٩٥٧ ، المقدمة) ٠ ومن هنا فلقد كان على العلوم جميعها أن تتغلب على أعنف المقاومات وأعندها فى محاولتها وصف وتفسير الظواهر القائمة ٠ « هذه المقاومات نالت مختلف الميادين بدرجات مختلفة ٠ وكانت تشتد بقدر ما تقترب المادة موضوع العلم من المجالات الحميمة للانسان : فالفيزياء والكيمياء تحررتا قبل البيولوجيا ، وتحررت البيولوجيا قبل التشريح والفسيولوجيا (فمنذ وقت غير بعيد كان محرما على اخصائى الباثولوجيا تشريح جسم الانسان) ، وتحرر التشريح والفسيولوجيا قبل علم النفس » ٠ (فينخل ، ١٩٦٩ ، جا ص٢٦) ٠

وفى الوقت الذى توصل فيه الانسان الى علم طبيعة واحد ، وعلم كيمياء واحد ، راح يتحدث عن « علوم » النفس (هكذا بالجمع)! ٠ فنجد علم نفس السلوكية ، وعلم نفس الافعال المنعكسة ، وعلم نفس الدينامية ، والتحليل النفسى ، وعلم نفس الغرضية ٠٠٠٠٠٠ الخ وتعدد « علوم » النفس هذا كان دليلا على تخلف الانسان فى هذا المجال ٠ (لاجاش ، ١٩٦٥ ، ص ٥) ٠ ولكن هذه « العلوم » على تعددها ، لم تكن تخرج من الناحيتين المذهبية و « الابستيمولوجية » (١) ٠ عن واحدة من نزعتين : نزعة سيكولوجية « طبيعية » ، ونزعة سيكولوجية « انسانية » ٠

النزعة الطبيعية والنزعة الانسانية :

وتميل النزعة الطبيعية ، الى استبعاد الشعور ، وتنظر الى الطبيعة

---

(١) الابسيتمولوجيا هى الدراسة النقدية للمعايير والمناهج المتبعة فى البحث ٠

النفسية باعتبارها جزاء من الطبيعة العامة ، وهى تريد أن تجعل من علم النفس ، علما يناظر العلوم الطبيعية الاخرى (هوسرل ، ١٩٧٠ ، ص ٧١) ٠ وتعالج الوقائع السيكولوجية بوصفها أشياء وتجد هذه « الشيئية » أمعن صورها وأكملها فى السلوكية الواطسونيه ٠ حيث موضوع علم النفس هو السلوك ، من حيث هو خارجى ومادى ٠ أما النزعة الانسانية ، فتسلم بأن الوقائع السيكولوجية هى « حالات شعورية » أو « تجارب حية » أو « تعبيرات » نقرأ فيها التجارب الحية التى يعيشها الآخرون ٠ فعلم النفس الانسانى النزعة ، لا يركز اهتمامه على السلوك المتاح للملاحظة ، وانما على الكيان الحى ، بمعنى الوجود كما يعيشه الشخص ٠ وتتجابه النزعتان الطبيعية والانسانية ، فيما يتصل بالعلاقه ما بين الكل والاجزاء ٠ وهنا نجد أن النزعة الطبيعية تقرر أسبقية ـ الاجزاء والقوانين الجزئية ٠ « فالفعل المنعكس الشرطى » مثلا ، هو سلوك بسيط وأولى ، و « العادة » هى تسلسل أفعال منعكسة شرطية ، « والشخصية » هى حاصل جمع « عادات » ٠ (تلكان Tilquin ، ١٩٤٢ ، صص ١٩٥ ـ ١٩٦) ٠ أما فى النزعة الانسانية ، فالكل سابق على الاجزاء ، ولا يمكن أن يعاد بناؤه ابتداءا من اجزائه ٠ فكل واقعة سيكولوجية لا يمكن الا بطريقة مصطنعة أن تعزل عن جملة علاقات الكائن الحى بالبيئة ، أو بتعبير « انسانى » ، عن جملة علاقات الشخص بالعالم ، فالشخصية وحدة كلية ، تكشف عن نشاط ثرى ، ينبغى دراسته لفهم الحياة النفسية وتتجابه النزعتان الطبيعية والانسانية أيضا ، فيما يتصل بتصورهما للجوهر المقوم للحياة النفسية ٠ فالنزعة الطبيعية ، بتشبثها بالمعطيات المادية المتاحة للملاحظة الموضوعية ، لا تسلم بجوهر مقوم غير عضوى ٠ فى حين أن النزعة الانسانية تولى على العكس ، اهتماما كبيرا للكشف عن مجاهل « الطبقات العميقة » للجهاز النفسى » ، «اللاشعور» « لسيكولوجية الاعماق » ٠

كما تفترق النزعتان الطبيعية والانسانية فيما يتصل بموقفهما من الغائيه والقيم ، فبينما يلفظ علم النفس « الطبيعى » الغائيه والقيم ، بسبب طابعها الذاتى ، فان علم النفس « الانسانى » يلح عليها بالاهمية ٠ فعلم النفس ينبغى أن يكون « وظيفيا » ، و « التكيف » هو المشكلة المركزية فى علم الحياة وعلم النفس ٠ وعالم الكائن الحى هو دوما « عالم قيم » ٠

أما فيما يتعلق بالهدف ، فان علم النفس « الطبيعى » النزعة يقيم قوانين شبيهة بقوانين الطبيعة ، مصاغة ما أمكن فى علاقات كمية ، تسمح « بتفسير » الظواهر بمعنى أنها تسمح بردها الى عدد قليل من العناصر المكونة الأولية ، هذه الظواهر التى تترجم خصائصها الانسانية فى « منحنى » ، كما هو الشأن مثلا فى قوانين التعلم · أما علم النفس الانسانى النزعة ، فيستند لا الى القوانين ، وانما الى انماط مثالية ، أو الى علاقات مثالية ، هى اجمالات synthéses واضحة المعالم تعين على « الفهم » ، واكثر مما تعين على « التفسير » · فدراسة الشخصية تتطلب منهجا ، لا كميا احصائيا ، بل كيفيا ، يستند الى « الحدس » والمذاق الفنى · وليس لمثل هذه الدراسة أن تغفل الجوانب الجسميه التى تعبر بها ، الحياة عن نفسها · (لاجاش ، ١٩٦٥ ، صص ٦ – ١٠) ·

من هنا كان استناد النزعة « الطبيعية » الى النهج الارسطالى فى العلم aristotalian approach ، بينما وجدت النزعة « الانسانية » ما يدعمها فى النهج الجاليلى · galilian approach

النهج الارسطالى والنهج الجاليلى فى تناول الوقائع :

فى النهج الارسطالى يكون « تشوين » الوقائع فى أكوام ، فى فئات ، فالرجوله فئة ، والانوثة فئه اخرى مباينه كل التباين ، والابصار فئة ، والعمى فئه أخرى مباينه كل التباين · وكذلك فيما يتصل بالمرض والسوية ، بالطفولة والرشد ، وما الى ذلك · والنهج الارسطالى يقوم داخل كل كومة (فئة) – باستقراء فسيح لعدد كبير من الحالات (الرجال أو النساء مثلا ، المبصرون أو العميان ····· الخ) بحيث يستخلص منها ما هو مشترك بينها جميعا ، فيقيم منه ماهية الفئة · وفى هذه العملية ، تبقى بعض حالات « ناشزه » تشذ عن المشترك الشائع ، وتخرج بالتالى على التفسير · ولكن ذلك لا يهم ، فالعبره بالغالبية العظمى من الحالات · أما فى النهج الجاليلى فيكون « تفكير الواقائع » penser les faits (بلغة ميرلوبونتى بل يتحتم تفكير الوقائع بلغة السياقات على طريقة جاليلو ، لا بلغة الفئات على طريقة ارسطو · فالنهج الجاليلى فى تناوله للوقائع بتشوينها فى

أكوام ، أصناف ، فئات متباينة كل التباين ، بحيث تقيم عوالم منفصلة بعضها عن بعض ، بل ينظر اليها على انها متماثلة Analogous فالظواهر المتماثلة ، هى هى من حيث المبدأ ، وان تباينت انتظاماتها « وتبدلاتها الوضعية ansposition التى تتجسد عليها نتيجة للتنوعية الفريده للسياقات البيئيه ٠

ويتواجه النهجان ، فيرى جييوم Guillaume ان علم النفس يستهدف اقامة تتابعات خبراتيه ثابتة ، بمعنى مستمره دائبة ٠ وهذا التصور ينطوى على ان القانون انما هو « ماهية » تتشارك فيه الحالات الفردية بدرجة أو أخرى (جييوم Guillaume ، ١٩٤٢) ٠

بينما يرى ليفين Lewin ان علم النفس فى هذه الحالة ، ينخفض الى كونه تفسيرا بلغة « الماهية الارسطاليه » ، وانه لا ينطوى على شىء مما ينطوى عليه العلم ٠

فحسب رأى ليفين ينحصر معيار علم النفس العلمى حقا فى تخيله عن المفارقه ما بين « عمومية الماهية المعقولة » و « خصوصية الواقعية » ينبغى أن نفكر بلغة « السياقات » (تشكيلات النوع الواحد) لا « الفئات » ٠

والاستقرار العلمى ، من وجهة نظر النهج الارسطالى ، يختلف عن الاستقرار العلمى من وجهة النظر للنهج الجاليلى ٠ فمن ناحية ، نستطيع أن نصل الى قضية عامة ابتداء من الوقائع عن طريق التجريد ، وهذا هو النهج الارسطالى ٠ ومن ناحية أخرى نستطيع أن نبحث ضمن حالة ، أى داخل الحالة ، عن تقاطع الوقائع وهذا هو النهج الجاليلى ٠ ومفهوم العمومية ايضا ذو معنيين : فاما أن نفحص عددا كبيرا من الحالات المتفرقة ، واما أن نصل الى العمومية ببلوغنا الى مركز الظاهره العيانية ٠

وفى الحالة الاولى يستخدم علماء النفس عمومية احصائية ٠ فهم يذهبون مثلا الى أن الثالثه هى سن المعارضه والخلف عند الطفل ، وهم يجمعون جميع الملاحظات المتعلقة بهذا التوكيد ، بمعنى يجمعون معا ، كل ملاحظة تشهد بذلك ٠ ولكنهم اذ يفعلون ذلك فانهم لا يفسرون شيئا ٠

فكل ما يفعلونه ينحصر فى أنهم يطلقون اسما من الأسماء على بعض الوقائع دون ما تفسير لهذه الوقائع • وهذا هو النهج الارسطالى •

أما فى الحالة الثانية فاننا نكون أمام عمومية أساسية ، فالنهج الجاليلى يرى أن علم النفس يتحتم عليه أن يطلعنا على العلة فى أن هذه الظواهر أو تلك تحدث •

وعلم النفس اليوم – بحسب رأى ليفين – كثيرا ما ينخفض الى مجرد كونه علم نفس من النمط الارسطالى ، بمعنى أنه يقتصر ويقنع بالبحث عن « العلم » هذا الذى ليس له من صلة فى واقع الأمر بالحقيقة العلمية • والطريقة الاحصائية انما تتعرض بصفة خاصة لهذا الخطر : فهذه الابحاث عن المتوسط الحسابى ، وتضفى عليه قيمة تمثيلية ، فتعده ممثلا للكل • (ليفين Lewin ، ١٩٣٥ ، ص ص ٣٢ – ٣٦) •

ولكن « الأدوات » الرياضية ليست بكافيه لتسبغ على البحث الطابع العلمى الحق • علم النفس هذا يجاهد ما وسعه الجهد ليثبت أنه علم ، مستخدما أقصى ما يستطيع من الرياضيات • ولكننا حين نستخدم هذه الامكانيات الرياضية مستكين الى تصورات ارسططالية ، فاننا نظل فى مجال ما قبل العلم (المرجع السابق ، ص ١٩) •

ان البحث عن القوانين لا يكفى لتخصيص العلم ، وذلك اذا ما فهمنا القوانين على انها عمومية مجرده • ويذهب ليفين الى « أن الاحصاء يمكن أن يكون مفيدا شريطة الا نستخدمه بطريقه عمياء » • (ليفين Lewin ١٩٣٥ ، ص١٦) •

« والنادره المشهوره عن « بينية » فى قوله « الذكاء هو ما يقيسه مقياسى » ، هذه النادره تشير فى معناها المباشر الى ان الموقف العلمى ، يقتضى الا نتساءل عما هو الذكاء • وانما أن نقيس سلوك طفل فى سن معين مع مسالك أطفال من نفس السن • ولكن بهذا المعنى يستحيل على علم النفس أن يذهب بعيدا • فلأن نسأل ما هو الذكاء ، فان مثل هذا السؤال لا يمكن أن لا يحفل به العلم مهما امعن فى التجريبية » •

(صلاح مخيمر ، ١٩٦٨ ، ص ١٠٢) •

فكثيرا ما كانت العوامل التى يقيسها المقياس ، عوامل محيطيه ، مستقله الى حد ما ، بمعنى أنها لا تتوقف على الشخصية كوحدة كلية . فعندما نقوم بتطبيق الاختبار تفسة بعد سنوات عدة فانه لا يعطينا نفس النتائج . فليس فى وسع الاختبار أن يتيح لنا التنبؤ ومن هنا يتحتم على الاختبار أن يتجه الى الشخص بكليته ، أى من حيث هو وحده كلية ، وذلك حتى يستطيع قياس الحالة العامة لسلوكه ، فلا يقتصر على قياس نتائج هذا السلوك ، هنا والآن فى موقف الاختبار . فالنهج الجاليلى يقتضى الامساك بالشخص ، أى بالوحدة الكلية لصيرورته ، وأن نقيم ، أى نبنى من جديد التطور الدينامى له ، لا أن نحصى عددا من الأداءات التى ينجح الطفل أو يفشل فيها فى لحظة من لحظات حياته . والنهج الارسططالى فى تناوله الوقائع بلغة الفئات ، والاصناف والانماط ، انما نفتح الباب عريضا أمام **محظورات ينبغى تجنبها فى العلم :**

١ - الاحكام القبلية الشعورية المضلله :

« اننا لا تمسك بالآخر كشىء من الأشياء المنعزله ، وانما فى صلته بنا أى عبر ملاحظة مشاركة .. ففى علم نفس الاطفال ، كما فى علم النفس المرضى ، وعلم نفس البدائيين ، وعلم نفس المرأة ، يكون الموضوع الذى نريد أن ندرسه فى موقف جد مختلف عن موقف القائم بالملاحظة ، ومن هنا يصعب على الأخير أن يمسك بالأول « كما هو » ، وفى موضوعيته المطلقه ان جاز القول . فعندما نقوم بملاحظة « آخر » فانه يصعب علينا أن نستبعد هذا الجانب من سلوكه الذى يرجع الى وجودنا فى الموقف ، سنجد أنفسنا بصدد علاقة ما بين « الانا » و « الآخر » . فنحن لا نبلغ الى « الآخر » ، ولكن الى علاقته بنا . وعندما لا يتوفر شعور المساواه ، ما بين القائم بالملاحظه ، والشخص موضوع الملاحظه ، فان السيكولوجية التى نحصل عليها تتعرض لخطر أن تكون انعكاسا وتعبيرا عن القائم بالملاحظة ، أكثر مما هى تعبير عن الشخص موضوع الملاحظة » (المرجع السابق ، ص٨٢) . ففى سيكولوجية المرأة مثلا ، غالبا ما نحدد لها طبيعة لا تعدو فى الحقيقة أن تكون مجرد صوره مكمله

لا نعتقد أنه « طبيعة » الرجـــل ، أو قل طبيعة « المذكـــر » كما تحددها حضارتنا • يتضح ذلك بالنظر الى التحقير (المراه كاذبه) ـ المراة خادعة وشيطان ، أو بالنظر الى عملية الترفيع والصبـــغ بالمثالية Idealization (المراه مرهفه ، وشاعريه وملاك) • عـــلى الرغم من أنها غالبا ، ما نجد أنها « لا تستحق ، لا هذا الاســراف فى التحقير ، ولا هذا الاسراف فى الترفيع »

(بونابرت ، ١٩٦٩ ، مقدمة الترجمة) •

وفى علم نفس الاطفال ، يكون الاختلاف ما بين القائم بالملاحظـــة وموضوع الملاحظة ، اكثر عظما • وان الطفل ليستجيب ازاء اتجاهاتنا على نحو من السرعة ، الى حد اننا لا نتنبه الى التغير الذى يحدثه وجـــودنا كراشدين فى استجاباته وردود افعاله •

نحن نصف عادة ، لا طبيعة الطفل ، وانما علاقة هذا الطفل ، بكائن لم يعد بعد طفلا • وهذه العلاقة ، تعبر عن الطريقه التى « يتصـــور » مجتمعنا عليها « الطفوله » •

ان الشعور الذى لنا عن الاشخاص الآخرين ، وعن كل ما يحدث ، هو بطبيعته خداع • فماركسى Marx وفرويد Freud ، يريننا انه من الأمور الأساسيه للشعور أن يخطىء •

فبحسب ماركس ، يعد من الطبيعى أن يجهل شعورنا العلاقـــات الاجتماعية والاقتصاديه (البنيه التحتيه) التى تكون تطور العـــالم • فمن الطبيعى أن نتصور الانسان على غرار صوره الانسان من طبقتنا • ومعنى هذا ان شعورنا ينظر الى السمات التى ترجع فى الواقع الى التاريخ ، بحسبانها سمات للطبيعة الانسانية •

اما بالنسبه الى فرويد ، فالدلاله الحقيقية لمسالك الشخص تكـــون خفيه (لا شعوريه) ، فالامور ليست ابدا على النحو الذى تبدو عليـــه

فى شعور صاحبها ... بل قد يكون ما فى الشعور هو النقيض تماما لما هـو فى اللاشعور ، وذلك بتدخل ميكانيزمات الدفاع او الحيل اللاشعورية .

(صلاح مخيمر ، ١٩٦٨ ، ص ٨٥) .

وبعبارة اخرى فان الانسان فيما يبدو لنا منه ، لا ينطبق على نفسه ، فهو ما ليس هو ، وهو ليسما هو (مصطفى زيور ، مقدمه خمس حالات من التحليل النفسى) وفى الملاحظة ، فان كثيرا مما نحن عليه ، نراه فى الآخرين ـ عن طريق الاسقاط ـ أن نراه مسقطا على الآخرين .

ومن هنا فكيما نعرف أنفسنا حقـا ، فلابد من شىء من التراجـع ، التراجع لمسافة بعينها الى «نقطة الرؤية» التى تسمح لنا بأن نمسـك بالمشهد بكل جنباته .

ولكن هذا الأمر ، لا نستطيع ان نضطلع به بازاء انفسنا . ولا يرجع هذا بالضرورة الى لا شعور يحيك الالاعيب . فظاهرة التلاعب او المماثلة ، ترجع ايضا الى ان الشعور ، هو دائما شعور « بصيغة » تبرز بالقيـاس الى « القاع » بلغة الجشطلت ولكن الشعور هنا فى هذه الحالة شعور فريد ، شعور بالصيغة ، فى اغفال للقاع ، الذى ليس للصيغة من دلالة حقيقية الا بالرجوع اليه . وهذا القاع نحن نعرفه على اية حال بحسبانه شـيئا عشناه . فنحن بالنسبه الى انفسنا « قيعاننا » الخاصة ، كل شخص بالنسبه الى نفسه ، هو قاعه الخاص ، فهو يرضى عن نفسه فى ضوء قيم نفسـه .

(جييتوم ، ١٩٦٣ ، ص ٨٩) .

ولكن كيما تتقدم « المعرفه » وكيما تكون هناك معرفة علمية عن انفسنا وعن الآخر ، فلابد وان يتحول ما كان هو « القاع » ، ليصبح « الصيغة » ، فلابد وأن نتبين هـذا القاع مدخلينه الى مسـتوى الشعور عن طـريق « التراجع » . عندئذ استطيع أن ادرك نفسى ضمن قاعى الحقيـقى ، وأستطيع ان اسد على الاسقاط طريقة ، فلا أرى الآخر من خـلال قاعى

اللاشعورى ، بل أرى هذا الآخر ضمن انتشاره البيئى ، الخاص • « ففهم الآخر ، مسأله مستحيله قبل فهم الذات » •

« ان مورينو Moreno ، يضع نصب عينيه نفس هذا المنظور فى نظرته الى السيكودراما فالأفراد يغتنمون الشعور بصراعاتهم ، عندما يلعبون فوق المسرح أدوارهم الحيويه ، وكأنهم بذلك يتراجعون الى ما وراء أنفسهم »

(صلاح مخيمر ، ١٩٦٨ ، ص٧٨) •

من كل ما سبق تتضح خطورة الاحكام القبليه الشعورية ويمكن تلخيصها فيما يلى :ـ

(أ) خطر الحكم بالرجوع الى الاحكام القبلية الاجتماعية ، واتجاهاتنا الخاصة ، مما يترتب عليه ان نتوهم الآخر : اما نسخة منا لها نفس الهوية ، واما من طبيعة مغايره مغلقة على نفسها ، لا نتطابق معها ، فننالها بالترفيع او التحقير • وباختصار نتعرض لوهم التطابق التام • وفى الحالتين لا تنطوى العملية على نظره تكافؤ بين الذات والآخر • وانما هى نظرة قهرية لا تحقق العلاقة الجره ما بين «الأنا» و « الانت » •

(ب) خطر الحكم بالرجوع الى الحكم القبلى الخاص بالعلم ، على أنه تواتر منتظم • ظواهر يتكرر حدوثها بانتظام • او وقائع تتتابع دائما أبدا بنفس الطريقه • وأن ممارسة العلم تنحصر فى الوصول ابتداء من أكبر عدد ممكن من الحالات ، الى عمومية مجردة ، الى ما هو مشترك بينها جميعا ، وان وسيلة العلم هى التسجيل الرقمى ، والصاق بطاقة ، باسم خاص مما يتمخض عن فئات من الوقائع ، قائمة برأسها ، عن كومات خاصة ، تتيح التصنيف بالاستناد الى كنه افتراض ، يسمى المتوسط • ويترتب على ذلك أن دراسة الواقعة الفردية التى تقتصر على ذلك لا تدخل فى العلم كعملية من عملياته •

(ج) خطر الحكم بالرجوع الى شعورنا الطبقى • فيلورتنا الطبقية

تجعلنا نتوهم الخصائص التى ترجع فى أصلها للتاريخ ، وكأنهـا خصائص للطبيعة البشرية • فالأيديولوجية عند « ماركس » تتحـدد بالعوامل الاقتصادية ، وتحدد دوافع الأفراد المنتمين الى طبقـة واحده (تفكير طبقى) •

(د) حظر الحكم بالرجوع الى شعورنا ، فالشعور كما أبان التحليـل « جزئى ومتميز Parteille et Partiale » (لاجاش Lagache ١٩٦٤ ، ص٥٢٩) ، يريناً من العالم ما يتفق مع نظامنا الدفاعى ، ومن هنا يكون التشويه والتبرير فى الادراك والفهم والاتجاهات •

(هـ) حظر الحكم بالرجوع الى شعورنا ، ليس فحسب لان العالم يعيد الى كل واحد ماله من صورة عن نفسه ، وانما لأن الشعور صيغـة ممتازة ندركها بغير قاع ، أو قل ضمن قاع هو شعورى ايضا ، أما القاع الحقيقى فيتبعثر عن طريق الاسقاط فندركه وكأنه ينتسـب الى الآخرين •

٢ ـ التصورات الجامدة والذراتية :

مثل تجميد « الطفولة » فى صورة نمط ، قالب ، فى صورة عقلية طفلية » مغلقه على نفسها وكأنها بمثابة عالم قائم برأسه ، ومقطوع عن عالم الكبار •

ومثل تصور « الشعور المريض ، مغلق على نفسه ، أو تصور نفسية « البدائى » مختلفه ، اختلافا جوهريا عن نفسيتنا • أو تصور « الانوثة » طبيعة مغلقة على ذاتها • ان هذه التصورات هى محاولة لتحديد « سمات » لطبيعة جامدة ، يرفضها علم النفس ، ويقيم بدلا منها دينامية بين شخصية: فينبغى ان نتجنب الحديث مثلا عن « طبيعة الطفل » • ينبغى ان نتجنب كل تصور جامد ، كأن يكون مجرد تصور احصائى لمراحل الطفولة ، كأن نتحدث مثلا عن طبيعة الطفل فى السادسة ، تماما كما ينبغى أن نتجنب كل تصور جامد عن سيكولوجية الجنس • (ليفين Lewin ١٩٣٥ ، ص١٣) فعلم نفس الأطفال ، ليس بحال دراسة « طبيعة » ثابته • ومن هنا يرى فرويد أنه على الرغم من المحددات التشريحيه القائمة منذ البداية ، الا أن

هذه المحددات ليست ذات قيمة حاسمة • فالصورة التى تكون عليها الحياة الجنسية فى وقت من الاوقات ، تتحدد تبعا للمكانة المختلفة التى يحتلها الطفل فى الانتشار العائلى • أما الجنسية الراشدة ، فقوامها « التخطى » لجميع المراحل السابقة • وحين نقول « صبى » أو « بنت » عند المولد ، فذلك لايكاد يعنى شيئا بعد •

« فحين نقول « بنت » أو « صبى » فأننا نعنى كائنا أو فردا فى حقل من القوى ، وهذا الحقل ، يمثل فى كل وقت بالنسبة الى الطفل ، لونا خاصا من ألوان الذكورة أو الأنوثة • والطفل فى هذا الحقل يخضع لتجهات مختلفة ، تجذبه فى اتجاهات متباينة » •

(بونابرت ، ١٩٦٩ ، ص ١٢) •

ان الواقع انما هو دينامية دائبة التغير ، فهو متاح أبدا للتبديل ، الأمر الذى يفسر امكانية التغيرات المفاجئة •

وهذه الدينامية ، تدحض النزعة الذراتيه الضيقة ، هذه التى تسعى الى التقطيع ، فتصطنع عزل ما هو خارجى ، عما هو داخلى ، وما هو حسى عما هو حركى ، وعزل ما هو فسيولوجى ، عما هو نفسى ، وما هو فطرى عما هو مكتسب ، وعزل النضج عن التعلم ، وعزل الموقف عن الاستجابة •

ان الحقيقة ، هى ان الموقف الذى يعيشه الكائن ، يتوقف ليس فقط على الشروط التى يوجد فيها الكائن ، وانما يتوقف أيضا على بنية الكائن الخاصة • فهناك ما يمكن تسميته « بالتكيف القبلى » • ويصدق هذا حتى فى المستوى البيولوجى • فالكائن العضوى ، يقيم فى وسط يلائمه • ومن الممكن ان تكون الخصائص الباطنية للكائن العضوى ، هى التى تجعلـــه يستقر فى هذه الظروف ، بدلا من تلك ، ويقرر لاجاش « انه لا يوجد كائن بغير موقف ، ولا يوجد موقف الا بالنسبة الى كائن ، بل ان وجود الكائن فى موقف بعينه انما يترجم الى حـــد بعيد عن البنية المميزة لشخصيته • « فالمواقف تشبه الاشخاص » • ومن هنا لا ينبغى النظر الى نتائـــج الاختبارات بحسبانها صادقة ومطلقه ، فهى لاتعدو فى الحقيقة ان تكون

تعبيوا عن لحظة بعينها من دينامية شخصية وبين ـ شخصية ديناميـــة دائبة التغير كوحدة كلية حالية وزمنية معا • دينامية قوامها « الصيرورة الى » ومن هنا يتحتم على الاختبار ان يتجه الى الشخصية من حيث هى كذلك ، فلا يقف عند ما هو محيطى عارض ، وانما يبلغ الى ما هو مركزى ومتصل • فالاختبار ينبغى ان يتجه الى صميم الظاهرة ، الى الشخصيـــه فى كليتها ، فيسمح بتبين التطور الدينامى ، بدلا من الاقتصار على قيـــاس بعض الاداءات • فليست هنالك من حقيقة الا حين نصل الى مركز الشخصية•

٣) الاقتصار على التسجيل :

وذلك أما فى صورة الوصف السطحى ، أو فى صورة احصائية رقميه للوقائع كالنسب المئوية أو معاملات الارتباط • فذلك تقليد سطحى للمنهج الذى تستخدمه علوم الطبيعة •

وتتلخص خطورة الاقتصار على التسجيل فيما يلى :

(أ) الاقتصار على التسجيل ، يتوهم امكانية تحقيق الملاحظة المطلقة • وتجنب النسبيه ، مع ان « علوم الطبيعة لم تتقدم بالقضـــاء على النسبية • وأنما تقدمت حين توقفت عن مجرد التسجيل لتبنى الوقائع بناءا جديدا » (ليفين Lewin ١٩٣٥ ، ص ١) •

(ب) الاقتصار على التسجيل يتمشى فحسب مع النظرة الارسطالية ، التى تهدف الى تكديس الوقائع فى فئات ، انماط قوالب ، فى ماهيات ، استنادا الى ما هو عام ، بمعنى مشترك ـ يصلح أساسا للتجريد وللوصول الى الفئة بمعناها المعيارى أو التصوراتى •

(ج) الاقتصار على التسجيل ، من حيث هـو وسيلة لتحقيق العموميـــة المجردة ـ يغفل بالضرورة التباينات الفردية ، اذ هـى غير مشتركة ، وغير عامة ، مع ان العلم ينبغى ان يفسر لنا ويفهمنا هذه التباينات الفردية • وهذا لا يتحقق بتسجيل الوقائع ، وانما ببنائها بناء جديدا.

يتيح لنا ان نتبين العلاقه المثالية ، التى تعد الحالات الفردية ، تشكيلة تباينات لها .

(د) الاقتصار على التسجيل يغفل سياقات الوقائع ، وهى التى لاتنفصل عن تباينات الوقائع ، فالريشة التى تطير ، والحجر الذى يسقط ، والكرة التى تتدحرج ، كلها مظاهر متباينة ، بتباين السياقات ، لنمط بعينه من العلاقة الماليه (قانون الجاذبية) . وكذلك المسالك المختلفة والسوية ، واستجابات العميان والمبصرين ، والرجال والنساء ، الكبار والاطفال ، فكل هذه التباينات الفردية بتباين الانتشارات ، تجد ما يفسرها فى تصور الموقف بالقياس الى البيئة . فنفس المثيرات الموضوعية تتمخض عن انتشارات ادراكية مختلفة . ومن هنا قصور التسجيل السطحى ، وصفيا كان أم رقميا ، وضرورة الرجوع الى الوراء لاكتشاف الوحدة من وراء الكثرة ، من وراء تباين المظاهر بتباين الانتشارات ، أو بعبارة أخرى ، ضرورة الرجوع الى الوراء لبناء الوقائع بناء جديدا . ففى هذا الرجوع الى الوراء ، ما يسمح للباحث بأن يرى الوقائع لا كصيغة بغير قاع ، نبحث فيها عن المشترك بينها وبين غيرها لنقيم الفئات ، وانما كصيغة ، ضمن انتشارها الخاص فى صلتها بالصيغ المماثلة ، ضمن انتشاراتها المختلفة وذلك بالرجوع الى اطار واحد .

ركائز النهج الجاليلى :

أما النهج الجاليلى فى تناول الوقائع ، فأنه يقوم بحسب رأى ليفين Lewiin (١٩٣٥ ، ص ص ٢١ ــ ٢٦) على الركائز الثلاثة التالية : ــ

أولا : تصور حقل الوقائع النفسية بحسبانه متجانسا :

بمعنى ان الآخر « ليس من طبيعة مباينه لى تماما » و « ليس له نفس الهوية هويتى ، بل مماثل لى » . معنى ذلك أن الآخر هو أنا من حيث المبدأ وهو غيرى من حيث الصورة التى يتجسد عليها . وهو كائن له نفس حاجاتى.

ويعيش من حيث المبدأ نفس مشكلاتى ، (مشكلات الحياة) · ولكن ذلك يتخذ عنده انتظاما خاصا به · أنا ولا أنا ، هو أنا من حيث المبدأ ، ولا أنا من حيث التحقق والانتشار · ويترتب على ذلك أن تكون طبيعة الآخر مماثلة أى مساوية من حيث المبدأ ، مختلفة من حيث الظروف · فألانا والأنت والهو أشكال متباينه ، لما هو واحد فى جوهره · وعليه يتحتم أن ننظر الى كل شخص ضمن وحدته الاجتماعية والتاريخية ، ضمن انتشاره الخاص :

(أ) فالمسالك الموضوعية والمسالك السوية ، انما هى استجابات لمواقف ، هى هى بعينها من الناحية الموضوعية · فليس للسلوك السوى والسلوك المرضى « نفس الهوية » ولكن هناك تماثلا بين المواقف » ، فاذا كانت السوية حلولا انشائية (ايجابية تبلغ الى الابتكارية احيانا) لمشكلات الحياه ، فأن اللاسوية ، تظل هى الاخرى ، حلولا لمشكلات الحياة ، وأن تكن حلولا (نكوصية تفكيكية) ، تتباين انتظاماتها من الأعصبة الى الاذهنة » · « فنحن نرى فيهما نهايتين مختلفتين ، لنفس الصراع » (لاجاش ، ١٩٦٥ ، ص ٢٥) ·

(ب) وكذلك الحال بالنسبة الى الرجولة والانوثه ، « فهما ليسا بعالمين مستقلين ، ومتباينين كل التباين · أنهما متماثلان ، بمعنى أنهما نفس الشىء ، من حيث المبدأ ، وان تباين « انتظامهما وتكوكبهما ، فمفهوم الجنسية الثنائية فى التحليل النفسى ، يقضى بأن كل كائن بشرى ينطوى على العنصرين معا ، ونعنى الذكورة والأنوثه ، أو السادية والمازوشية ، أو الأنيموس والأنيما ، وان تغلب احدهما على الآخر · فحيث تتغلب السادية تكون الذكورة ، وان تباينت تجسيداتها ، هى الأخرى فى تشكيلة لا نهاية من حيث المبدأ لتباينها · وحيث تتغلب المازوشيه تكون الأنوثه ، وان تباينت تجسيداتها هى الأخرى فى تشكيلة لا نهاية من حيث المبدأ لتباينها ولا عبرة فى ذلك بالناحية التشريحية » · (صلاح مخيمر ، ١٩٧٧ ، ص ٥) ·

(جـ) وكذلك الحال بالنسبة الى المبصرين والعميان ، « فهما لا يقيمان عالمين متباينين ، كل التباين ، بل هما متماثلان · هما من حيث المبدأ ، نفس

الشيىء (كائن بشرى يجيب على حاجاته توافقا فى حدود امكانياته مع مقتضيات البيئة) ولكنهما من ثم ينتظمان على نحو متباين ، بحيث يقوم انتظام المبصر على خمس حواس ، بينما يقوم انتظام الاعمى على أربع حواس ، وان ظل الانتظامان فى الحالين ، مجرد أجابة على مطالب الحياة · (المرجع السابق ، ص ٦) ·

« ومن هنا فقوانين علم النفس حين نفهم الانواع المختلفه للحياه ، حياة الراشد والطفل ، السوى والمريض ، ·· الخ على انها أجهزة متوازية تجيب على نفس المشكلة بطرائق مختلفة ، أو قل على أنها أساليب حياة متوازية ، (صلاح مخيمر ، ١٩٦٨ ، ص ١٢٣) ·

ثانيا : استخدام تصورات شرطيه نشوئيه : القيمة والدلالة والموقف :

اذا كنت أنا والآخر ننتمى الى نمط كيفى واحد ، ينتظم عندنـــا ، انتظامين متباينين ، ويتجسد تجسدين مختلفين ، فلا بد للفهم من تناول كل واحد منا ضمن سياقه ، وكذلك الأمر بالنسبة للوقائع ، فعلم الفيزياء ، يضع موضع الاعتبار « المتجهات vectors » وبوسع علم النفس ان يستعين هو الآخر بذلك ، فان ما هو علمى لا ينحصر فى استبعاد الكيف ، بمعنى القيمة والدلالة ، وانما ينحصر فى النظر الى الوقائع ضمن سياق · فكل سلوك فى علم النفس ، انما هو استجابة « متجهة نحو » موقف · وعليه نستطيع ان نأخذ بالغائيه ، لا من حيث هى غائيه تنصب على « طبيعة » ، بمعنى انها تكون ثابته فى الفرد ، وانما من حيث هى غائية خاضعة لشروط ومتعلته « بموقف » ، تعد بمثابة اجابة عليه ، (ليفين Lewin ، ١٩٣٥ ، ص ٢٨ ـ ٢٩) · أن « ليفين » يهاجم علم النفس الذى لايتصور نفسه علميا ، الا اذا أعرض عن استخدام مفهوم « الغاية » والنشاط « المتجه الى » · فهذه التصورات ، ذات طابع علمى ، اذا ما وضعنا فى اعتبارنا المتجهات ، على أنها خاضعة وتابعة ، أى تتوقف على العلاقات المتبادلة ، بين وقائع عديدة · فجميع العناصر فى حالة علاقة بينيه فى الحقل · ومن هنا تأتى فى رأى « ليفين » أهمية الموقف · وهذه الأهمية ، لا يمكن ان تتبدى ما دام العلم ينظر الى « الموضوعية » نظرة زائفة · بمعنى ان الخصائص « الرقمية »

وحدها هى التى يمكن ان تكون مميزة « للموضوعية » (ليفين Lewin ١٩٣٥ ، ص ١٦) ٠

ان الموقف لايشتمل على جميع عناصر العالم الخارجى ، وانما يشتمل فحسب على جملة السمات ، سمات العالم الخارجى ، التى تستطيع ان تستثير استجابة الكائن العضوى ٠ فالموقف هو النتيجة المشتركة للتجارب الداخلية ، تجارب الكائن العضوى ٠ وللمعطيات الخارجية ٠ ان « الموقف » لهو همزة الوصل ، بمعنى الوجه « الذاتى » من الانتظام ٠ وعليه فالموقف أساسى لفهم الفرد الذى يعنينا ، وذلك لان الموقف هو نقطة التقاء الخارجى والداخلى ٠ وفى ذلك ما يذكرنا بعبارة لاجاش « انه لايوجد كائن بغير موقف، ولا يوجد موقف الا بالنسبة الى كائن ، بل ان وجـــود الكائن فى موقف بعينه ، انما يترجم الى حد بعيد عن البنية المميزه لشخصيته ٠ فالمواقف تشبه الاشخاص » ٠ وأنه لشيىء من هذا النوع ، ذلك الذى نجده كأصـــل وأساس لكشف جاليليو : فتصور جاليليو لدينامية الظاهرة على انها مرتبطة بالموقف ، هو الذى جعله يستطيع « مماثله » الاجسام الهابطه والصاعده والمتدحرجة والتى كان أرسطو يقيم منها ثلاثة عوالم متباينة ٠ بل وهو الذى جعل جاليليو يستطيع « مماثلة » الطيور فى طيرانها ، والنجـــوم فى حركتها ٠ انه اذ يضع فى اعتباره « الموقف Situation » ، فأنه يستطيع « مماثلة analogy » الظواهر موضوع الدراسة ، والتى يصنفها النهج الارسطالى فى تقسيمات تعسفية ، يتجاهل بها مبدأ الاقتصاد فى العلم ٠

« ان المتجهات vectors التى تحدد دينامية الظاهرة ، انما تتحدد بالواقعه العيانيه concrete ، بالشيىء وبالموقف » (ليفين Lewiin ، ١٩٣٥ ، ص ٣٠) ٠ ومن هنا تجيىء امكانية « عمومية غير مجردة » وهى عمومية يحتاج اليها علم النفس فعلم النفس العلمى ، « يبحث كأى علم آخر عن «القوانين العامة» ، انه لايقتنع بمجرد وصف العمليات الفردية ، فالوصف الدقيق للعمليات التاريخيه هو وسيلته لاغايته ٠ وموضوعة ليس (س) من الافراد ، وانما الامساك بالقوانين العامة التى تحكم الظواهر النفسية ، ٠٠٠ ولكن ليس هناك « علم نفس للانسان » بمعنى عام ، وفى فراغ ، ان جاز القول ، بل فحسب علم نفس فى مجتمع عيانى بعينه ، وفى مكان اجتماعى .

بعينه ، ضمن هذا المجتمع العيانى » (فينخل ، ١٩٦٩ ، جـ ١ ، ص ص ٣١ ـ ٣٢) ٠

ثالثا ـ بناء تصورات تتيح فهم الوقائع الفردية : نمط العلاقة المثالية والواقعة العيانية كبداية ونهاية :

أوضح ليفين ان النهج الجـاليلى فى علم النفس ، يتخطى المتوسط الحسابى The average الى الحالة النقية pure case (ليفين Lewin ١٩٣٥ ، ص ٢٥) ٠ ونعنى هذه الحاله التى تكون الوقائع المختلفة التى نلاحظها هى حقا الوقائع المترابطة ترابطا باطنيا ٠ ومعنى هذا أننا من الناحية العقلية ، نبنى الوقائع بناء جديدا ، أو قل نستبصر بحقيقة بنيتها الداخلية ٠ « وما القانون الا انزال هذا البناء الذى نبنيه منزلة المثل الاعلى » (هوسرل ، ١٩٧٠ ، ص ٨٩) ٠

فالعلم هو « تفكير الوقائع » واعادة بنائها بناء جديدا من الناحية العقلية ، وليس العلم هو مجرد تسجيل للوقائع ٠

أن قانون سقوط الاجسام عند جاليليو ما كان يمكن الحصول عليه من مجرد « تقرير الواقعة » فالقانون يتحدد بالاستناد الى عملية مثاليه ٠ عملية قوامها أن ننزل علاقه معينة « منزلة المثل الاعلى » ، فنعتبرها « علاقة مثاليه » أو انموذجا أو نمطا كيفيا لسائر الوقائع المماثله ٠ ومن الامور التى تبدو وكأنها متناقضه ، ان العلم ، كيما يفهم ما هو عيانى ، يتحتم عليه بمعنى من المعانى أن يبدأ بأن يدير ظهره له ٠ فلا بد وأن جاليليو قد أعاد بناء معطيات الحواس ، باجراء فكرى ٠ ان العلم يبدأ فى اللحظة التى يعيد فيها بناء « ما هو ظاهر » فينتج لأنفسنا نماذج للواقع ، نماذج مثالية ٠ عندها فلن تكون دلالة « الاستثناء » هى هذه الفضيحة التى كان يعنيها الاستثناء عند ارسطو « فقد كان أرسطو ينظر الى ما هو فردى على انه ، لا يخضع للعقل » (ليفين Lewin ، ١٩٣٥ ، ص ١٩) ٠ أما عند جاليليو ، فقد كان بناء نماذج أو أنماط مثاليه ، يسمح بمماثلة الظواهر المتباينه ، أى بالكشف عن الوحدة وراء كثرة التباينات ، أو بلغة الجشطلت ، الكشف عن

هذه الصيغة التى تكون الظواهر الأخرى المماثلة ، تجسيدات « لتبدلاتها الوضعية » بلغة الجشطلت •

وترجع ضرورة بناء الوقائع بناء جديدا ، الى تضليل الشعور ، من حيث هو قاع وصيغة معا • ونحن حين لا نمسك بالآخر ، بالرجوع الى اطار من أنفسنا ، وحين نمسك به فى انتشاره الخاص ، فمعنى ذلك اننا نمسك بأنفسنا ضمن قاعها الحقيقى ، وذلك بالرجوع الى ما وراء أنفسنا • فالنهج الجاليلى يقتضى ان يكون شعورنا « صيغة » ، نمسك بها ضمن قاعها الحقيقى ، هذا الذى يتبعثر عادة عبر الاسقاط ، فلا ندركه الا فى الآخرين ، وكأنه ينتسب اليهم كقاع خاص بهم « « فلا بد للذات من ادراك ذاتها كظاهرة فى العالم وكماهية متصلة بماهيات الآخرين » (هوسرل ، ١٩٧٠ ، ص ٣٤) •

وبناء النمط الكيفى أو العلاقة المثاليه أو الانموذج الهيكلى ، لايستلزم بالضرورة استقراء فسيحا للوقائع كما يتوهم البعض • « فهناك نوعان من الاستقراء : **استقراء سطحى** ، نصل به من حالات كثيرة ، وعن طريق التجريد ، الى عمومية مجردة • **واستقراء مركزى** حتى لحالة واحدة ، نبحث داخلها عن تقاطع الوقائع والتقائها ، فنمسك بانموذج مثالى ، نمسك بنمط العلاقة المثالية ، هذا الذى يسمح بمماثلة الحالات الأخرى • ويقرر جولد شتاين بأن دراسة عميقة لحالة فردية قد تزيد فى قيمتها عن دراسة واسعة وسطحية لالآف من الحالات » • ويرى لاجاش « انه من الافضل تعميق الحالات ، بدلا من تعديدها » (لاجاش ، ١٩٦٥ ، ص ٤٧) • ويؤكد موراى « ان الفهم المناسب للسلوك ، ينبغى أن يكون تاليا للدراسة الكاملة والتفصيليه للحالات الفردية ، وكما قدمت دراسة الحالة مساعدة لاتقدر لنمو وتطور العلوم الطبيه • فان مستقبل علم النفس يرتبط بقبول الباحثين لبذل الجهد والوقت فى سبيل الفهم الكامل للحالات الفردية » (هول ولندزى ، ١٩٧١ ، ص ٢٥٧) •

واذا كان الاستقراء السطحى لعدد كبير من الحالات هو ما يقيم المنهج التجريبى فأن الاستقراء المركزى للحالة الفردية هو موضوع المنهج الكلينيكى •

المنهج التجريبى والمنهج الكلينيكى

يرى لاجاش انه « يمكن صياغة الاختلاف المميز للاتجاه الكلينيكى عن الاتجاه التجريبى فى الصورة التالية : فالمجرب يخلق موقفا ، ويضبط بطريقة مصطنعة كل عوامله ، فلا يغير منها فى الآن ، غير عامل واحد ، حتى يتسنى له أن يدرس الاختلافات النسبية فى الاستجابات ، مسقطا من حسابه الوحدة الكلية • وان التعبير : « متى تساوت جميع الظروف » انما يمثل تحفظـــا نمطيا فى الطريقة التجريبية • أما الكلينيكى ، فهو اذ لا يستطيع استحداث الموقف ، ولا يستطيع على الأخص ضبطه ، بحيث يعزل عنصرا عن الظروف الشارطة له ، فأنه يجاهد للاستعاضة عن ذلك بتحديد مكان العوامل التى تعينه ، ضمن جملة الظروف الشارطه • ومن هنا ضرورة البحث التنقيبى الدقيق الشامل • وهكذا فالمجرب والكلينيكى يسلكان سبيلين مختلفين لبلوغ نفس الهدف : ألا وهو ضبط الظروف الشارطة للسلوك ، المجرب باستبعاد جملة الظروف الشارطة ، متناولا على حدة « متغيرا مستقلا » ، والكلينيكى باعادة بناء الوحدة الكلية للظروف الشارطة • ونستطيع ان نتصور ، كيف ان الاتجاه الاول يمكن ان يتأدى الى علم نفس « ذرى النزعه » أو جزئى الطابع ، بينما يتأدى الاتجاه الثانى الى علم نفس اجمالى أو « كلى الطابع »، كيف يمكن للأول ان ينتهى الى علاقات مطلقه « لاتاريخية » ، بينما ينتهى الثانى الى « تاريخ حالة » • (لاجاش ، ١٩٦٥ ، ص ص ٢٢ ــ ٢٣) •

« المنهج التجريبى »

يرى اصحاب المنهج التجريبى انه كيما نكشف عن العلاقات ، ما بين طبيعة الكائن العضوى وبيئته وسلوكه ، فأنه يتحتم اخضاع جميع العوامل الهامة لأدق ضبط ممكن • وبعبارة اخرى يتحتم ان تخضع كل هذه العوامل لتجريب المجرب بحيث يتخذ من كل عامل منها بعد الآخر ، وبدوره ، متغيرا مستقلا (مم) •

ان السلوك انما يخضع لعدد من العوامل ، وينحصر المنهج التجريبى اولا فى « تغيير » واحد واحد من هذه العوامل ، كل على حده ، مع ابقاء العوامل الأخرى ثابته على حالها • ثم يتم تسجيل الاثر المترتب على هذا «التغيير» •

ضبط العـــوامل :

أولا : ضبط المثيرات الخارجية والداخلية :

ان المثير من الزاوية السيكولوجية ، يعنى أى عامل خـارج الكائن العضوى أو داخله ، يتسبب فى احداث نشاط من أى نوع • فجوانب العالم التى لاتبلغ الى احداث نشاط لاتعد مثيرات • والمثيرات الخارجية النمطيه هى من قبيل الموجات الضوئية والموجات الصوتيه • والاتصالات اللمسيه ، والمواد ذات الرائحه • أما المثيرات الداخلية النمطية فهى من قبل نواتج التعب • وانخفاض نسبة السكر فى الدم • وتزايد الادرينالين فى الدم ••• الخ •

ويتم ضبط المثيرات الخارجية باستخدام حجرات ماصة للصوت ، أو الضوء وأجهزة معينة • أما ضبط المثيرات الداخلية ، فيمكن ان يتحقق عن طريق الحرمان من الطعام أو اعطاء « الكافيين » أو الحقن « بالادرينالين » أو استئصال المعده (منعا لتقلصاتها من أن تعمل عمل المثيرات) ، أو قطع الحبل الشوكى (منعا للحفزات العصبية فى الجزء الأسفل من البدن من أن تصل وتثير مراكز عصبيه فى المخ) ، أو نحو ذلك • ومن الواضح أن وسائل الضبط فى مثل هذه الصورة الاخيرة ، لايمكن استخدامها الا مع الحيوان ، وتعد غير ممكنة بالنسبة للانسان ، اللهم الا فى حالات الحوادث أو المرض • وغنى عن البيان انه يتم تخدير الحيوانات ، تجنبا للالم • (صلاح مخيمر ، ١٩٦٨ ، ص ٤٦) •

ثانيا : ضبط الكائن العضوى :

بالاضافة الى ما يضطلع به المجرب من « تغيير » المثيرات الخارجية أو الداخلية ، فانه يمكن « تغيير » الشروط العامه للكائن العضوى • ومن الواضح أن تغيير المثيرات الداخلية يدخل تحت هذا العنوان • بيد أن بعض أشكال الضبط العضوى لاتعد بشكل مباشر نوعا من ضبط المثير ، ولنورد بعض الامثلـــة :

١ ـ فى حالة الاشخاص الراشدين ، كثيرا ما يكون من الضرورى خلق تهيؤ

/...

أو اتجاه ، وذلك قبل تقديم المثيرات ٠ ومثال ذلك أن نخبر الشخص ان يتنبه الى نوع بعينه من المثيرات دون غيره ٠ وأن يستجيب بطريقة معينة للضوء الأحمر ، وبطريقة أخرى معينة للضوء الأخضر مثلا ٠ كذلك يمكن اخبار الشخص ، بأننا نجرى الاختبار عليه من ناحية معينة ، بينما نختبره بالفعل من ناحية أخرى ٠ أو نخبر الشخص بأننا نجرى حقنة بالكحول ، بينما نحقنه فى الحقيقة بالماء المعقم ٠ ان الكيميائى والفيزيائى والبيولوجى ، لا يضطلعون بضبط التهيؤ أو الاتجاه ، فى المواد التى يجربون عليها ، أما فى الأبحاث النفسية ، فان مثل هذه الاتجاهات تعد غاية فى الأهمية ، ويتحتم اخضاعها للضبط ٠

٢ ـ وثمة صورة أخرى ، من ضبط الكائن العضوى ، هى ضبط الوراثة ، فغالبا ما يميل الباحثون الى ابقاء الوراثة فى حالة ثبات ٠ لنفرض مثلا أن الباحث يريد ان يتعرف ما اذا كان الأطفال يكتسبون المهارات الحركية عند « تدريبهم » عليها فى سن باكره ، بأسرع مما يكتسبونها فيما لو ترك الأمر « للظروف » ٠ على مثل هذا الباحث ، ان يستخدم جماعتين من الأطفال : جماعة تلقت التدريب وجماعة لم تتلق التدريب ٠ وحيث ان معدل النمو فى هذه المهارات ، يمكن أن يتأثر بالوراثة ، فينبغى أبقاء الوراثة فى حالة ثبات ٠ ولما كان التوائم المتحدون لهم نفس الوراثة ، فأن عامل الوراثة يتم اخضاعه للضبط وتثبيته (استبعاد فعاليته) بأجراء التجارب على هذا النوع من التوائم ٠ وبعد تحديد التوائم المتحدين يشطرون الى جماعتين ، فيتم تدريب احدى الجماعتين ، بينما تترك الجماعة الأخرى بغير تدريب ٠

وفى التجريب على الكائنات البشرية احيانا ما تستخدم وسائل أخرى تحقق للوراثة ضبطا أقل احكاما ، كما هو فى بعض الدراسات الخاصة بالذكاء ، والتى تستخدم التوائم المتآخين أو الأشقاء ٠

والتغيير فى عامل الوراثة مع ابقاء العوامل الأخرى ثابته ، انما يتحقق عن طريق التنويع فى التوليد ، مما لا يمكن اتمامه الا فى الحيوان ، أو هو يتحقق عن طريق انتقاء جماعات بشرية من المعروف أنها ترجع الى سلالات جد مختلفة •

٣ ـ وضبط الكائن العضوى قد يتم أحيانا ثالثة ، عن طريق استئصال بعض أجهزة البدن ، مثل بعض الأنسجة العصبية ، أو الفرد أو أعضاء الحس فى مثل هذه الحالات التى تقتصر بالطبع على الحيوانات • تستخدم جماعتان • تتعرض احداهما للاستئصال الجراحى ، بينما تظل الأخرى على حالها • وغالبا ما يتم اجراء عمليات زائفة على الجماعات التى لم تتعرض للتدخل الجراحى ، حتى نتيقن من ضبط مختلف العوامل الأخرى بالاضافة الى العامل الأساسى (كاستئصال أنسجة المخ) موضوع التجريب • ومقارنة أداء جماعة بأداء الأخرى ، يتيح تحديد الوظيفة التى يؤتيها الجزء المستأصل من الكائن العضوى المتغير المستقل (مم) :

ان العامل الذى نقوم بتغييره أو تنويعه ، انما هو المتغير المستقل (مم) ، فى التجربة • ومن المألوف أن يشار الى هذا الشرط أو ذاك من « شروط ـ الكائن ـ العضوى » الذى يتعرض للتغيير أو التنويع على أنه « المتغير المستقل » ، فى البحث التجريبى ، ولا يمكن أن يكون هنالك أكثر من متغير مستقل واحد فى تجربة واحدة • وذلك لأن المجرب الذى يريد أن يتبين العوامل المحددة للسلوك انما يتحتم عليه ان يتبين التغيرات التى تترتب على عامل واحد ، كل على حدة ، فلو افترضنا تغيير عاملين معا ، فلن يستطيع الباحث أن يتبين الى أى عامل من العاملين ترجع الآثار الناتجة • وعليه يتحتم الابقاء فى حالة ثبات على جمع شروط الكائن العضوى ، فيما عدا المتغير المستقل •

المتغيرات التابعة :

ان الاستجابات هى المتغيرات التابعة فى التجربة • فبالاضافة الى تغير شرط من «شروط ـ الاثارة» أو شرط من «شروط ـ الكائن ـ العضوى» ،

مع الابقاء على بقية الشروط فى حالة ثبات ، يضطلع الباحث بملاحظة استجابات الكائن العضوى • وفى كثير من الحالات ، يضطلع بقياس الاستجابات التى نتجت عن التغيير الذى أحدثه • هذه الاستجابات هى المتغيرات التابعة فى التجربة • فهى تتبع وتتوقف على العامل الذى قام الباحث بتغييره •

ويمكن تصنيف الاستجابات على الوجه التالى :

١ ـ السلوك الخارجى : وهو الذى يستطيع أى ملاحظ أن يتبينه مثل اجتياز طريق فى متاهه ، والكتابة على الآلة الكاتبه ، والتحدث ، والضغط على مفتاح •• الخ •

٢ ـ النشاط الفسيولوجى الداخلى : مثل تزايد سرعة ضربات القلب وازدياد نسبة السكر فى الدم ، مما يمكن التأكد منه باستخدام الآلات أو الفحص الكيميائى •

٣ ـ التجربة الحية : وهى التى يصفها الشخص ، ويمكن أن نضع تحت هذا النوع أنشطة من قبيل التفكير والادراكات البصرية والسمعية ومشاعر الأسى • وأحيانا ما يكون المجرب مهتما بوجه واحد من هذه الأوجه الثلاثة ، وأحيانا ما يكون مهتما بها جميعا •

(صلاح مخيمر ، ١٩٦٨ ، ص ص ٤٦ ـ ٥٠) •

صعوبة التجريب على الانسان :

ان السلوك الطبيعى عند الانسان ، يختلف عن سلوكه التجريبى ، بأكثر مما يحدث عند الحيوان • ومن هنا تبرز صعوبات تتعلق بالشخص وتتعلق بالموقف :

١ ـ فيما يتعلق بالشخص :

يقول « جيبوم » : « اذا كان التجريب عسيرا فى عالم البشر ، فان ذلك يرجع على الأخص الى أن الفرد لا يرضى ان يستسلم للتجريب ، فانه

يتخفى ويتحجب ، حتى أمام الملاحظة العادية ، ويتجنب كل شاهد يضايقه ، تستهدف أجراء أى شيىء عليه ، أو تستهدف كشف سر سلوكه • فانـه يخشى أن يستحيل الى دمية فى يد شخص آخر ، يحركه ، ومن ثم يسيطر عليه • وحتى حين يقبل أن يكون موضوعا للتجريب ، فانه من النادر ان يستسلم لذلك كلية • (جيبوم ، Guillaume ، ١٩٤٢ ، ص٣٠٢)

وما يشير اليه جيبوم هو صعوبة تتعلق بدافعية الفرد موضع التجربة . واتجاه الشخص ازاء التجربة ، ينعكس بالضرورة على النتائج • ومن الممكن أن تتدخل فى التجربة دوافع عديدة ، شعورية أو لا شعورية من جانب الفرد • وتظل نفس الصعوبات فى حالة التجريب على الجماعات البشرية • ناهيك عن الصعوبات المتصلة بضبط العوامل •

٢ ــ فيما يتعلق بالموقف :

يرى « لاجاش » أن سلوك الكائنات البشرية ، يمكن ولا شك أن يكون موضوعا وأداة لأبحاث تجريبية • وهناك كثرة من التكنيكات التى تسمح بدراسة قطاعات « محددة » من السلوك عند الانسان ، تحت ظـروف شبيهة بظروف البحث التجريبى على الحيوان • وغالبا ما تكون النتائج واحدة • ومن ذلك أن منحنى التعلم يتميز بنفس الخصائص ، سيان تعلق الأمر بتعلم فأر المتاهة ، أو بتعلم انسان لمقاطع عديمة المعنى • وعندئذ ، يمكن لقوانين السلوك ، التى ثبتت تجريبيا أن تستخدم لاقامة تأويـــل نظرى ، وغير مباشر للسلوك العيانى عند الانسان • أما الدراسة التجريبية المباشرة لهذا السلوك العيانى عند الانسان ، فأمرها أشد عناء بكثير • وذلك الأمر يتعلق هنا بمواقف يستحيل أو يصعب جدا خلقها أو ضبطها بطريقة صناعية ، وذلك لأسباب أخلاقيه أو تكنيكيه : فسيكولوجية غيرة الحب ، والجريمة العاطفية ، والانتحار ، ليس لها أن تأمل من التجريب الا القليل » -

(لاجاش ، ١٩٦٥ ، صص٢٠ ــ ٢١) •

وبالاضافة الى ذلك فانه لا ينبغى أن يغيب عنا ما أشار اليه موراى من « أن سلوك الشخصيات البشرية ، يقع على مستوى مختلف عن مستوى الظاهرة الفسيولوجية ، وهو لذلك ينبغى أن يدرس وأن تصاغ التصورات الخاصة به ، دون انتظار علوم أكثر » أساسية « لتقديم صيغة كاملة » (موراى وكلاكهون Murray&Kluckhon ، ١٩٥٣ ، ص٤) • كما ان هناك صعوبة أخرى وهى أن يكون للموقف التجريبى نفس الدلالة عند جميع الأفراد • فأن دلالة الموقف أنما تتوقف الى حد كبير على شخصية الفرد الذى يعيش الموقف •

ولقد أشار كثير من علماء النفس ـ وحتى من أصحاب النزعة التجريبية ـ الى صعوبة تطبيق مفاهيم العلوم الفيزيائية على الانسان •

فلقد ذكر « أيزنك » أن « كثيرا من علماء النفس التجريبيين يشعرون بأن علم النفس كالعلوم الأخرى ، يقوم فى الأساس ، على الاعتماد الوظيفى لتغير ما على متغير آخر وأن ذلك يمكن ان يتم ، دون حاجة للمعلومات الافتراضية كالشخصية والمزاج •• الخ » وفى اعتقادى ان هذه المماثله الساذجة بين علم النفس والعلوم الفيزيائية خطأ محض • فما دام كل فرد مختلفا عن الآخر ، فسوف تتدخل ذاتية هذا الفرد فى المعادلة ، وتقلب ذلك الاعتماد الساذج الروتينى على العلاقات الوظيفية • فالأفراد مختلفون بالفعل ، بتاثير كل من الوراثه والتربية ، ويبدو لى أن علم النفس ، لايمكن ان يتقدم كثيرا ، دون التعرف على التعقيدات التى تثيرها حقيقة الشخصية هذه » أيزنك ، ١٩٦٩ ، ص١٤) •

ويرى فينخل ان نقل مفاهيم العلوم الفيزيائية الى الحقل الخاص لعلم النفس مسألة ليس لها ما يبررها ، « فعلم الفلك لا يستطيع أن يلجأ الى التجارب ، ومع ذلك فهو علم طبيعى » • (فينخل ، ١٩٦٩ ، جـ١ ، ص٣٥) •

ويرى « صلاح مخيمر » « أن المماثله ما بين الحقلين الفيزيائى والنفسى ، لا تعدو أن تكون سطحية • فان الوحدة الزمنية للفرد ، بمعنى الفرد ، من حيث هو وحدة كلية زمنية ، لهى وحدة من التماسك والاتصال ، بحيث لا تسمح لنا ، أن نضطلع بطريقة صحيحة بتشريحات dissections

كهذه التى تتم فى العلوم الفيزيائية ، ٠٠٠ ولقد أشار لاجاش ، أكثر من مرة الى أهمية هذه الوحدة « الزمنية » ٠ فبالاضافة الى الوحدة المستعرضه tranversal لقطاعات السلوك ، فاننا نستطيع أن نتحدث عن « تيار سلوكى» ، تماما كما نتحدث عن « تيار شعورى » ٠ (صلاح مخيمر ، ١٩٦٨ ، ص٢٥ ـ ٢٦) ٠

وذلك ايضا ما يشير اليه « هوسرل » بقوله « ان أصحاب المذهب الطبيعى ، يرفضون كل علم لا يعنى بدراسة الوقائع ، ولا يعترفون بدراسة الافكار ، وبدراسة العلوم التى تبنى على الأفكار ٠ فكل فكرة فى نظرهم ، يمكن ردها الى الطبيعة الفيزيائية ، وحتى الشعور النفسى ، يمكن تفسيره تفسيرا وضعيا طبيعيا ٠ ومن هنا فهم ينظرون الى الطبيعة النفسية ، باعتبارها جزءا من الطبيعة العامة ، وهم يريدون أن يجعلوا من علم النفس، علما يناظر علوم الطبيعة الأخرى ٠ لكننا نرى أننا لكى نحكم على التجربة ، تكون فى حاجة الى علم يتجاوز حدود التجربة ، والأسئلة التى تثيرهـــا التجربة ، لا يمكن أن نستخلص اجابتها من نفس هذه التجربة ، فلابـد لنا من نظرية للمعرفة لتفسير معطيات التجربة ، وهذه النظرية الجـديدة ، تقوم على العلاقة الوثيقة بين الشعور والوجود ، وباعتبار ان الوجـود متضايف الى الشعور ، وان الشعور ، هو المحل الوحيد الذى نتحقق فيـه موضوعيه الوجود ٠٠ فنحن نريد دراسة للشعور ، لا تخضع لعلم النفس الطبيعى ، أو لعلم النفس التجريبى ٠ ذلك لأننا فى حاجة الى تصورات لتفسير التجربة ، وهذه التصورات لا نستخلصها من التجربة فى حــــد ذاتها ٠ فالمعنى ليس عنصرا تجريبيا من عناصر التجربة ٠ أنه يعلو التجربة ويتجاوزها » ٠ (هوسرل ، ١٩٧٠ ، ص ص ٧١ ـ ٧٢) ٠

وينبغى ألا تنسينا هذه الاعتراضات ، تلك القضية التى نعتبـــرها ذروة قضايا التحليل النفسى ، والتى يطلق عليها « مصطفى زيور » « قضية أن الأنا مجهله » وذلك فى سياق عرضه لهذه القضية بقوله « فان كان الأنا ـ وخاصة بصدد نفسه ـ مجهلة ، فان كل مبحث فى النفس ، لا يصدر الا عن الشعور ، لا يمكن فى أحسن تقدير أن يكون الا علما بنتائج المجهلة ، وهل يغيب عن فطنة القارىء الذى يستطيع اخلاصا مع نفسة تفهم المعنى فى

عملية « التكوين المضاد » ، أى أن يكون المرء فى أعماقه كارها ، فاذا هو من حيث لا يدرى محبابالقياس الى الشعور المباشر ٠٠٠ ان قضية أن الأنا مجهلة ، يلزم عنها أن اليقين الشعورى ، مهما استخدمنا من عدد والدوات نصقلها من حيث « الثبات » و « الصدق » ـ أقول أن هذا اليقين الشعورى شيىء ، والحقيقة فى مبحث النفسى شيىء آخر ، ولا مفر من ذلك ، ما دمنا نستجوب الشعور وحده ، سواء اكان هذا الاستجواب فى اطار معمل علم النفس أو فى اطار المعالجه الاحصائيه ، أو فى اطارهما معا ، بحيث تبدو النتائج ، وكأنهـا صنو النموذج الفيزيائى الرياضى » ٠ (مصطفى زيور ، مقدمة خمس حالات من التحليل النفسى) ٠ ومن هنا كان على علم النفس أن يلجأ الى الملاحظة الطبيعية ، والملاحظة الكلينيكية ، للحصول على نظرة عيانيه وكليه للسلوك البشرى ٠ « فتناول السلوك ضمن منظوره الخاص ، والكشف فى أقصى أمانة ممكنة عن طرائق الكيان والاستجابة عند كائن بشرى عيانى برمتـه فى اشتباكه بموقف ، ومحاولة استخلاص دلالة هذا السلوك وبنيته ، ونشأته وتبين الصرعات الدافعة اليه ، والوسائل المتجهة الى فض هذه الصراعات ذلك بأيجاز هو برنامج علم النفس الكلينيكى » ٠ (لاجاش ، ١٩٦٥ ، ص٢٢) ٠

« المنهج الكلينيكى »

ويستخدم المنهج الكلينيكى فى دراسة حالة فردية بعينها ٠ فهـو يستخدم أساسا لاغراض عملية ، ونعنى من أجل تشخيص وعلاج مظاهر الاختلال التى تحمل الشخص على الذهاب الى الكلينيكى ٠ ولكن هذا لا يمنع من وجود هدف علمى ٠ فأن دراسة العديد من الحالات الفردية ومقارنتها بعد ذلك ، يمكن أن تمدنا بمعلومات نظرية لها قيمة عامة ٠

لقد نشأ المنهج الكلينيكى من الائتلاف ما بين تيارين هما : علـم النفس الطبى ، وعلم النفس التطبيقى القياسى النزعة ٠ ذلك أن المرض ، حالة يستحيل استحداثها تجريبيا من حيث المبدأ ٠ ومن هنا كانت ضرورة الالتجاء فى تناولها الى منهج خاص هو المنهج الكلينيكى ٠ والمنهج الكلينيكى

يعنى اليوم الدراسة العميقة للحالات الفردية ، بصرف النظر عن انتسابها الى السوية أو المرض .

مسلمات المنهج الكلينيكى :

« ثمة مصادرات ثلاث يستند اليها المنهج الكلينيكى :

(أ) تستند المسلمة الأولى الى التصور الدينامى للشخصية ، بمعنى أن ننظر اليها والى المسالك التى تصدر عنها على انها نتاج تفاعل الأجهزة المختلفة ، أو قل نتاج الصراع ، ما بين القوى المختلفه ، فالدراسة السيكولوجية للشخص ليست فى الواقع ، غير دراسة لصراعاته . فكل كائن بشرى ، بل وكل كائن حى يوجد دائما فى موقف صراع . فليست الحياة غير سلسلة متصلة من الصراعات ومحاولات حلها ، أو قل من ضياع الاتزان ومحاولة اعادة الاتزان . والكائن المتكيف هو الذى يستطيع أن ينهى صراعاته ، بمعنى انه يزيل توتراته ويشبع حاجاته . أما الكائن غير المتكيف فهو هذا الذى لا يبلغ الى أنهاء التوترات ، فيلتجىء الى الدفاع ضدها .

(ب) وتنحصر المسلمة الثانية فى النظر الى الشخصية كوحدة كلية حالية . فقد كانت العناية فى البداية تقتصر على مجرد الاعراض الخاصة بالمرض فى انعزال عن الشخصية ، وكأن هذه الاعراض ، لا تنتسب الى شخص بعينه يعيش فى بيئة بعينها . أما المنهج الكلينيكى اليوم ، فليس للأعراض عنده من دلالة ، أو معنى الا بالرجوع للوحدة الكلية للشخصية فى صلتها بالعالم . ومعنى هذا أن النظرة الكلينيكية لاتقتصر على قطاع ، أو قطاعات سلوكية بعينها ، وانما تضع موضع الاعتبار كافة الاستجابات التى تصدر عن الشخص ، من حيث هو « كائن عيانى مشتبك فى موقف » . ومهمة الكلينيكى ، تنحصر فى محاولة تحديد مكان هذا السلوك ، أو هذا العرض ، ضمن وحدة الشخصية ككل ، بمعنى انها تحدد دلالته ووظيفته .

(ج) أما المسلمة الثالثة فتنصب على الشخصية كوحدة كلية زمنية • فاستجابة الشخصية بازاء موقف مشكل انما تتضح فى ضوء تـاريخ حياة الشخص بل واتجاهه بازاء المستقبل • فالتشخيص يستهـدف الامساك بلحظة من لحظات تطور الكائن البشرى •

ويتميز علم النفس الكلينيكى ، من حيث موضوعه ومنهجه وأهدافه :

فمن حيث الموضوع : نجد ان موضوع علم النفس الكلينيكى ، هو الدراسـة المركزة العميقة لحالة فردية ، اى دراسة الشخصية فى بيئتها » وعلم النفس الكلينيكى ، يمكن أن يمتد بالدراسة ايضا ، الى جماعات صغيرة ، فهو يدرس الجماعة من حيث هى حالة فردية » • (لاجاش ، ١٩٦٥ ، ص٤٦) •
ومن حيث المنهج : تضطلع الملاحظة بالدور الرئيسى ، فى الدراسة الكلينيكية • ولكن علم النفس الكلينيكى ، يميل بصورة متزايدة الى أن يأخذ صـورة المنهج الكلينيكى المسلح بالمقاييس المقننه ، حاصرا مع ذلك اهتمـامه فى الوحدة الكلية لاستجابات كائن بشرى عيانى برمته فى اشتباكه بموقف • ومعنى ذلك أنه يتناول الشخص من حيث هو وحدة كلية حالية ، وزمنية فى موقف •

أما من حيث الأهداف : فنجد منالزاوية العملية ، ان الشخص كيما يتقبـل الفحص ، فلابد وأن يجد فى نفسه ما يدفعه الى ذلك ، وبالتالى فهو حـامل مشكلة • ومن هنا تكون الأهداف العملية ، هى الاستشارة أو العـلاج أو اعادة التربية • ومن الزاوية العملية نجد أن الأهداف العملية لا يمكـن أن تتحقق الا بالاستناد الى معارف علمية سابقة • فالتشخيص ، ينحصر فى الامساك بالدلالة الخاصة ، التى تتخذها علاقة الشخص بالبيئة •

مشكلة التشخيص فى علم النفس الكلينيكى :

« أننا لا نستطيع الفصل ما بين الأشكال التكيفه ، والأشكال المضطربه للسلوك لا لأننا نرجع الى التصور البالى القائل بالاتصال والتجانس الكامل

ما بين الصحة والمرض ، ولكن لأننا نرى فيهما نهايتين مختلفتين للصراع ، لا يستطيع علم النفس الكلينيكى ، الا أن يضعهما الواحد بالنسبة للآخر » •

(لاجاش ، ١٩٦٥ ، ص٢٥) •

هدف التشـــخيص :

يعد هدف التشخيص فى أساسه معرفيا • وأن يكن من الممكن النظر اليه علميا وعمليا ، فهو من الناحية العلمية ، تتوافر فيه صفة العمومية ، ومن ثم فهو لا يكون مجرد كومة من التشخيصات الجزئية المتناثرة ، بقدر ما هو فعل ختامى تتكامل فيه التشخيصات الجزئية ، ضمن النظرة الكلية العامة • أما من الناحية العملية فالتشخيص يزودنا بقاعدة للعمل (علاج أو ارشاد ••• الخ) •

مضمون التشخيص :

ليس التشخيص مجرد الصاق بطاقة بهذا الصنف أو ذلك من أصناف الطب النفسى التقليدى • أى ليس تحديد النمط بالرجوع الى تصنيف جاهز بل هو عملية دينامية تنصب على فرد بعينه فى موقف بعينه ، فى لحظة بعينها ، وتحدد الدلالة العميقة لجملة علاقاته من بيئته • فعلم النفس الكلينيكى يأخذ على عاتقه فى كل حالة ، تحديد « برنامج العمل » بما يلائم حاجات الفرد ، موضوع التشخيص • ومن ثم ينتهى الى الامساك بالدلالة المحايثة الخاصة بالموقف المشكل الذى يعيشه هذا الفرد ، وبالوظيفة المحددة لاضطرابات السلوك عنده • فالتشخيص ، تعبير عن لحظة من لحظات التطور لتاريخ شخصيته فى علاقتها بالبيئة •

بنية التشخيص :

ثمة وجهان متتامان للتشخيص :

(أ•) مماثلة assimilation : بمعنى ادراج الحالة ، ضمن نمط كيفى استنادا الى علم النفس النظرى •

(ب) ملاءمة accomodation : بمعنى ملاءمة هذا النمط الكيفى ، بحيث توضع فى الاعتبار الخصائص الفريدة التى يتجسد عليها النمط العام فى هذه الحالة (تبدل وضعى بلغه الجشطلت) ، أى تبين الانتظـــام الفريد الذى يتخذه النمط الكيفى فى هذه الحالة •

ومن هنا فان التشخيص ينطوى على عملية تأويل interpretation للوقائع ، والمعطيات (محمد عبد الظاهر الطيب ، ١٩٧٧ ، ص ١٤٠) •

فنيات التشخيص :

ان التشخيص الجيد ، يستند دائما الى أنواع عديدة من المعطيات • ولكن رسم تاريخ الحياة ، والملاحظة المباشرة يظلان لب المنهج الكلينيكى • وفيما يتصل بالملاحظة ينبغى أن نتنبه الى أهمية الملاحظة المتصلة ، بحيث تنصب الملاحظة على وقائع عيانية ، تنفذ الى الحقائق ، ولا تتخذ صـــورة التقرير الدورى فى عدم تحدده •

منطـــق التشخيص :

ان التشخيص ليس عملية رص للوقائع ، بل تأويل لها ، يبنيهـــا بناء جديدا فى وحدة كلية تتيح فهم دلالة السلوك ، ووظيفته ، أى فهـــم الكائن فى علاقته ببيئته • ويتحقق ذلك بحركة دياليكتيكية للفكر ، تمضى من الوقائع الى الفرض التأويلى ، لتعود الى وقائع أخرى تعدل من الفرض الأصلى وهكذا •

فالتشخيص عملية دينامية ، ليس لها من الناحية النظرية أن تتوقف ، ولكن الناحية العملية ، تحتم التوقف ، عند الوصول الى تأويل يجيب على المتطلبات العاجلة للحالة ، هذه الحركة الدياليكتيكية للفكر ، يسبقها تحديد المشكلة ، ويختمها اقامة التشخيص •

معايير التشـــخيص :

لعل أهم معايير التشخيص فى المنهج الكلينيكى ، مبدأ التكامل ومبدأ التقاء الوقائع ٠

مبـــدأ التكامـل :

« ويعنى اقامة وحدة كلية واحدة من المعطيات ، مما يتطلب الكشـف عن العامل المشترك فالمعطيات التى تم جمعها ينبغى أن تأتلف ، وتنظيم ، ضمن الشخصية برمتها ، فى وحـــدتها التاريخية ، وفى علاقتها الراهنـــة بالبيئة » ٠ وفى هذا الصدد « يشبه فرويد التحليل النفسى بلعبة الصبر ، التى يكون فيها على الشخص أن يقيم صورة مكتملة ، ابتداء من أجزائها المبعثرة ٠ فليس ثمة غير حل واحد صحيح ٠ وطالما لم يتم التوصل اليه ، فربما استطاع المرء أن يتعرف على أجزائه معزولة ، لكن لا يوجد كل مترابط ٠ فاذا ما تم الوصول الى الحل الصحيح ، فلن يكون من شك فى صحته ، لأن كل جزء ، يجد مكانه ضمن الكل الشامل ٠ فالحل النهائى ، يكشف عن وحدة مترابطة ، فيها كل التفصيلات ، التى كانت حتى ذلك الحين غير مفهومة ، قد وجدت مكانها » ٠ (فينخل ، ١٩٦٩ ، جـ١ ، ص٩٠) ٠

التقاء الوقائـــع :

فالتأويل الذى ترتد اليه كثرة من الوقائع الواردة فى الأحلام مثلا ، ينبغى أيضا أن ترتد اليه كثرة من الوقائع الماثلة فى المسالك اليوميـــة للشخص ، وضمن اطار الطرح العلاجى ٠

وهناك معايير أخرى تحكم اقامة التشخيص نلخصها فيما يلى :
مبدأ وفرة المعلومات : ويعنى أن درجة اليقين أو الاحتمال فى التشخيص انما تتوقف على ثراء ودقة المعطيات التى تم جمعها ٠

مبدأ الاقتصـــاد : ويعنى أن أكثر التأويلات معقولية ، هو هذا الذى يتيـــح تفسير أكبر عدد من الوقائع ، بأقل عدد من الفروض ٠

معيار الخصوصية : ومعناه ان التشخيص ليس له من قيمة الا حين يأتى بجديد يستنطق الوقائع .

معيار الانتظار : بمعنى أن التشخيص لا يعدو أن يكون حكما مؤقتا ، ومن ثم يظل النفسانى فى حالة انفتاح عقلى تتيح له أن يعدل تشخيصه ، اذا ما برزت أية وقائع جديدة .

التعارض بين علم النفس الكلينيكى وعلم النفس القياسى :

ويرى « لاجاش » أن فكرتنا عن علم النفس الكلينيكى ، تظل قاصرة ، طالما لم نحدد بعد **علاقته بعلم النفس القياسى** .

فمن حيث المبدأ يتعارض المنهج الكلينيكى ، ومنهج المقاييس فيما يلى :

١ ــ فالكلينيكى يتعين الشخص على أن يتكيف مع الموقف ويجاهد ، كيما يجعل طريقته ملائمة لهذا الشخص ، ويتم البحث الكلينيكى فى « مقابلة شخصية » ، أما « الصنائعى النفسى » فيستخدم مع مختلف الأشخاص نفس الاختبارات ، بنفس الطريقة ، معطيا للأشخاص نفس الزمن ، ونفس التعليمات .

٢ ــ والكلينيكى يلاحظ استجابات الشخص فى وحدتها الكلية وتفاصيلها ، وذلك فى موقف حيوى وهام فى دلالته ، الا وهو موقف الفحص . أما « الصنائعى النفسى » فيسجل بطريقة موحدة وسط ظروف من التحدد ، بحيث تتيح لاى ممارس أن يحصل على نفس النتائج . وأن يؤول اية نتيجة بنفس الطريقة .

٣ ــ والكلينيكى يتخذ اطارة المرجعى من انماط « كيفية » ذات طبيعة مثلى ، بحيث يرد الحالة الى عدد من العلاقات العامة ، ويماثل ما بين الحالة ، وأحد تلك الأنماط مستوعبا مع ذلك ، على ادق نحو ممكن ، الخصائص الفردية للحالة ، أما « الصنائعى النفسى » فيقدر نتائج عددية بالرجوع الى سلم للقياس سبق اعداده على اشخاص ينتمون الى نفس الجماعة التى ينتمى اليها الشخص المقيس .

ويرى « لاجاش » أن هذا التعارض التكنيكى قد انتهى الى طرائق جد مختلفة فى ممارسة علم النفس ، وأدى فى النهاية الى خلق جو من التنافس وعدم الثقة ما بين الصنائعيين النفسيين والكلينيكيين ، حيث يتهم فريق الصنائعيين الفريق الآخر ، بعدم الدقة العلمية وينعى فريق الكلينيكيين على الفريق الأول جموده ٠

ثم يورد لاجاش هنا عبارة تستحق الوقوف عندها قليلا اذ يقـــول « وكما هو الحال فى الغالب ، فان الطابع الشخصى ، حين يغلب على الجدال يعقد المشكلة ، ويؤخر حلها (لاجاش ، ١٩٦٥ ، ص٢٧ ـ ٢٩) ـ ولقد أشار « لاجاش » الى هذا المعنى اكثر من مره ، فلقد سبق له القول بأن « الاختيار ما بين النزعتين ، يمكن الا يصدر الا عن دوافع شخصية ٠٠ وان هذا الاختيار يجيب فى المستوى العميق ، على حاجات الشخص الوجدانية ، ومحاولاته حل مشكلاته الخاصة » (المرجع السابق ص١٣ ـ ١٤) ٠ ان ذلك يذكرنا بعبارة موراى « ربما لو كان هدفى الرئيسى هو العمل بأقصـى دقة علمية ، لـما كنت قد بارحت المحولات الكهربائية والغازات مطلقا ، لقد تغيرت أهدافى بسبب ذلك الاهتمام الملح بأمور أخرى مثل مشكلات الدوافع والانفعالات ، وكانت محاولة انجاز ذلك على الانسان ، تجعل منى عالمـا نفسيا « أدبيا » أو طبيبا للصحة العقلية ، يطل من الخارج على علماء النفس الحقيقيين الذين كانت تستحوذ عليهم ـ كما استخلصت ـ أهداف ملحـة لتسلق السلم الاجتماعى للعلماء ، والانضمام الى تلك النخبة بأى ثمن ٠ والا فماذا غير ذلك ، يمكن أن يفسر وضعهم لوسائل (الاجهزة والاحصاء) بعيدة الى هذا الحد عن الأهداف (أهمية المشاكل موضع الدراسة) بحيث أنه مهما كانت تفاهة النتائج ، فان المجرب ، يعتبر نقيا وطاهرا ، طالمـا أن معاملات الارتباط لديه تكون ثابتة » (موراى **Murry** ، ١٩٤٠ ، ص١٥٤) ٠

وقد يتخطى الأمر هنا مجرد اشباع حاجات خاصة بالباحث ، ليمس صميم ثقته بذاته ٠ فالمنهج الكلينيكى يعتمد الى حد بعيد على قدرة الباحث الكلينيكى ، وثقته بذاته ، ومن ثم فهو لابد وأن يكون شخصية استقلالية ، وبالتالى يأخذ على عاتقه مشكلة العلم من حيث هو اعادة بناء للوقائع « فى ذهنه وعبر ذاتيته » ، وعبء الانتقال من عالم الذاتية الى عالم الحقيقة ٠

اما التجريبى فشخصيته ، ليس من الضرورى أن تقوم على الاستقلالية ، لا ولا على الثقة بالذات ـ فهو لا يستطيع أن يأخذ على عاتقه هذه المهمة الضخمة ، ومن ثم فهو يلقى بهذه التبعية على الظروف الخارجية ، وكأن العلم لا يمكن أن يكون الا بعيدا عنه ، وخارج مجال ذاتيته ، فان كان هناك ثقة ، وان كان هناك يقين علمي ، فلابد وان يوجد خارج ذاته ، فى الشروط الخارجية ، بعيدا عن كل مسئولية له ، فهو ليس بمسئول عن شيىء فالتجربة قد أسفرت عن ذلك » ، ونتائج الاختبار ومعاييره هى التى تؤكد ذلك ، ومعاملات الارتباط والدلالة الاحصائية ، وهى التى تقع عليها كل المسئولية ٠ هنا لا تكون الثقة فى الذات ، بل فى العالم الخارجى ، فى الشروط التى يفتعلها المنهج التجريبى ، ولناهنا أن نتساءل مع هوسرل « ولكن ما هو اليقين ، الذى يمكن أن يفوق يقين الذات بذاتها ، وبالعلوم التى تضعها هذه الذات » (هوسرل ، ١٩٧٠ ، ص١٠) ٠

التقاء المنهجين ، الكلينيكى والتجريبى : (لاجاش ، ١٩٦٥ ، ص٤٨ ـ ٦٠) :

ولكن ، وعلى الرغم من كل هذا التعارض ما بين المنهجين ، الكلينيكى والتجريبى ، « فقد تقاربت وجهتا النظر ، واقتصر التعارض بينهما على التمييز بين ميدانين ، ميدان السلوك بصورة عامة ، وميدان السلوك الانسانى العيانى ، وما يلحق بذلك من تماير طريقتى التناول ٠ ولكننا اذا ما حاولنا ، بدلا من الالحاح على التعارض ، أن نتقصى العوامل المشتركة فى تصور موضوع البحث ، ومنهج التناول ، والنتائج ، واذا ما توصلنا ، فى كل هذه النواحى الى أن نثبت وجود اتفاق عميق فى الرأى ، فاننا نكون بذلك ، قد خطونا خطوة كبرى فى الطريق الى وحدة علم النفس » (لاجاش ، ١٩٦٥ ، ص٤٨ ـ ٤٩) ٠

١ ـ موضـــوع عـلم النفس :

ان علم النفس ، سواء بالنسبة الى علم النفس الكلينيكى أو بالنسبة الى علم النفس التجريبى هو علم السلوك ـ وليس ثمة ما يدعو الى اضافة

« التجربة الحية » الى السلوك (من Munn ، ١٩٤٦ ص ١٦) ، وذلك لأن التجربة الحية ، ترتد اما الى مسالك ، وأما الى اشكال ونتاجات مستمرة ومنتظمة من السلوك • وفيما يتصل بعلم النفس التجريبى فان وشائج صلبة بالسلوك لوثيقة الى الحد الذى يعفينا من الالحاح عليها • ومن الواضح أن علم النفس الكلينيكى يقوم على ملاحظة السلوك ، ونتاجات السلوك ، وحتى الشعور نفسه ، يستحيل فهمه من الناحية البيولوجية الا على أنه سلوك أو خاصية من خصائص السلوك • فنحن لا نبلغ الى « الشعور » الا من خلال السلوك ، أو عن طريقه •

وهكذا نجد ، فيما يتصل بتصور الموضوع العام لعلم النفس ، اتفاقا تاما بين التجريبيين والكلينيكيين • غنى عن البيان أن هذا التصور « للسلوك » والذى يسمح بتحقيق هذا الاتفاق ، هو أشمل من التصور « الواطسونى » للسلوك ، هذا الذى يخفض الى مجرد وقائع مادية بحته • ومثل هذا الخفض الفيزيائى « للسلوك ، يستتبع خفض علم النفس الى علم الفيزياء • غير أن السلوك ، هو « انبثاق » لا يمكن خفضه الى صيغ فيزيائية • ولقد انتهى التطور بعلم النفس السلوكى ذاته الى تصور جديد للسلوك ، تصور لا ينطوى على الخفض الى الفيزياء أو الفسيولوجيا ، تصور كلى ، أى ينظر الى السلوك كوحدة كليه فريدة • وهكذا يلتقى المنهجان فى الموضوع •

٢ - من حيث طريقة تناول السلوك وتأويله :

ان الاختلاف المنهجى بين التجريبية والكلينيكية ، يتبدىء فى الحقيقة ، ليس فحسب فى طريقة تناول الوقائع ، وانما أيضا فى طريقة تأويلها • وهذا الاختلاف فى الواقع ليس جذريا الى الدرجة التى يبدو عليها ، فالنتيجة المستهدفة هى فى الحالتين ، احلال السلوك مكانه من العوامل الشارطة له • وتبلغ التجريبية الى ذلك عن طريق ضبط العوامل المختلفة والمتغير المستقل • أما الكلينيكية فتبلغ الى ذلك عن طريق بحث امين ومكتمل الى أقصى حد ممكن•

ومن ناحية أخرى ، هناك تعارض آخر فى طريقة تناول كل من المنهجين

للسلوك ، فالمنهج التجريبى يقوم على « التفسير العلمى » أما المنهج الكلينيكى فيقوم على « التأويل الفهمى » ٠

(أ) **التفسير العلمى** : يعمل على تأويل ظواهر الطبيعة بأن يطبق عليها نظريات وقوانين يتم التوصل اليها بالاستقراء المعمم ، وهى نماذج اصطناعية للواقع ، لاتتطلب منها أن تعطينا حدسا أمينا عن «الطبيعة»، وانما مجرد صياغة مريحة وخصبة تسمح بالتحقيق والدقة ٠

(ب) أما الفهم فانه يعمل على تطبيق « علاقات مثالية فهمية » على الوقائع السيكولوجية ، وهى علاقات تنشأ بطريقة حدسية أثناء التجربة الحية، فتتيح الوصول الى دلالة محايثة للواقع الحى ٠ هى ما نعبر عنه بنمط العلاقة المثالية ٠ هذه العلاقات العامة حقيقية ، وان كانت غير واقعية ، اى مثالية تتجسد فى تشكيلات متباينة فالعلاقات المثالية للفهم « هى ضرب من صياغة للواقع فى صورة هيكلية ٠

وعليه ، فالفهم السيكولوجى ينطوى على تصور واقعى النزعة للمعقولية السيكولوجية ، فى حين أن التفسير العلمى يستند الى تأويل مثالى النزعة للفيزياء ٠

لكن التفسير العلمى مع تقدم العلم ، يقترب من صور هيكلية وصفية للواقع الفيزيائى ، تسمح بفهم « صدور ما هو فيزيائى عما هو فيزيائى » ٠

ومن الناحية الأخرى نجد فى علم النفس ، علاقات عامة من طراز القوانين الطبيعية ، بمعنى أنها قد تم الوصول اليها عن طريق الاستقراء المعمم ٠ بينما بعض العلاقات الأخرى فى علم النفس ، يمكن ترجمتها الى دلالات محايثة للسلوك ، بمعنى أنها تسمح بالامساك « بكيفية صدور ما هو نفسانى عما هو نفسانى » ، كما هو الحال مثلا فى قانون الاثر » ، اما عوامل الذكاء وعوامل الشخصية مثلا فلا يمكن ترجمتها الى فهم ٠

وعليه فانه فى علوم الطبيعة كما فى علوم الانسان ، وخاصة فى علم النفس ، يمكن أن تميز ما بين نمطين من العلاقات العامة :

(أ) علاقات مجردة تسمح بالتنبؤ ولا تسمح بالفهم ·

(ب) علاقات اكثر عيانية تسمح لنا بفهم تسلسل الظواهر وتبين العلاقات المحايثة للظواهر التى تتم ملاحظتها ·

وكذلك فان محاولة التجريبيين « تعميم العادة » ، اذ تنسحب على مواقف جديدة ، تناظر « العقدة » و « الطرح » فى التحليل النفسى ·

وينتهى « لاجاش » الى أن التمايز ما بين المنهج التجريبى والمنهـــج الكلينيكى ، ليس غير تعبير عن محاولة التلاؤم من جانب النفسانيين بازاء موضوعات مختلفة ، هى المسالك الجزئية فى حالة ، والمسالك الكلية فى الحالة الأخرى · وأن أقل ما يمكن أن يقال ، هو أن المنهجين يكمل احدهما الاخر ، على نحو يحقق البحث المكتمل الملائم ، لحقل علم النفس ·

ومادام الامر كذلك ، أفليس من الحكمة أن نفكر فيما يمكن أن يقدمه الكلينيكى والتجريبى من عون كل منهما للآخر بدلا من الاصرار على التجاهل وعدم الثقه ·

الكلينيكيه يمكن ان تفيد من التجريبية :

١ ــ فى ايضاح وصقل تصورات كلينيكية الأصل ، بالتجريب على الفروض التى انتهت اليها الكلينيكية عبر أبحاثها الخاصة · فكف الميول المحارمية مثلا ، يمكن أن ينتهى الى كف كل ميل جنسى ، وعلى العكس من ذلك، فان التعلم الذى يتحقق خلال علاج التحليل النفسى ، يتيح التمييز بين المواقف التى يباح فيها ارضاء الميول الجنسية والمواقف التى يحرم فيها هذا الارضاء · وكذلك التجريب على النكوص والعدوان كاستجابـــة للاحبـــاط ·

٢ ـ فى استخلاص قوانين يمكن تطبيقها فى تفسير السلوك البشرى العيانى :

(أ) الأنموذج الحيوانى للتطبيع الاجتماعى يسمح بتبين السمات الاساسية لعملية ، التطبيع عند الانسان ، وان كانت هناك خصائص متميزة للاخيرة ٠

(ب) كذلك الدراسة التجريبية للصراع عند الحيوان (منحنى التجنب والاقتراب ونقطة تقاطعها تشير الى اللحظة التى يصبح فيها السلوك صراعيا) هذا الى أن الميل للتجنب يتزايد بأسرع ما يتزايد الميل الى الاقتراب ٠

وهكذا نستطيع أن نخلص الى القول ، بأن الاعداد التجريبى للباحث ، وبأن المعارف التجريبية ، لاغنى عنهما للكلينيكى ٠

وكذلك التجريبية تحتاج الى الكلينيكية وتفيد منها :

١ ـ لاستحالة التجريب عميائيا ، أى بدون أن نعرف على أى شىء سنجرب فالطريقة التجريبية ، تتضمن صياغة فروض لنعمل ٠ ومن أهم ماتضطلع به الكلينيكية ، الاستطلاع والتنقيب فى مجالات البحث المختلفه ، وصياغة الفروض التى ستخضع للضبط التجريبى ٠

٢ ـ ان التجريب ينصب على قطاعات محددة من السلوك ، ومن هنا يكون على الكلينيكية ان تضطلع باقامة الوحدة الكلية للسلوك البشرى ٠

٣ ـ ان نظرية عامة فى السلوك يستحيل عليها ان تستغنى عن المعارف الكلينيكية الخاصة بالمسالك غير المتكيفه ٠

تعاون النهجين :

وهكذا تستطيع النزعتان التجريبية والكلينيكيه ، ليس فحسب أن تلتقيا ، وانما ان تتبادلا العون أيضا ٠ وفى مجال المقاييس والاختبارات يتبدى ذلك التعاون واضحا فيما يلى : (لاجاش ، ١٩٦٥ ، ص ص ٢٩ ـ ٣٨) :

١ – ان المقاييس لم تنبثق جاهزة من مخ عبقرى لصنائعى نفسى • بل انها النتيجة التى ينتهى اليها ، ويتبلور عندها جهد مضن ، ليس فحسب من القياس والاحصاء ، وانما ايضا من الاستطلاع والمحاولة ، وباختصار من الملاحظة الكلينيكية • ففكرة الاختبار تكون من اصل كلينيكى ، كما ترتكز دلالة النتيجة العددية ايضا على الارتباطات ما بين طرائق الاستجابة للمقياس ، ومعطيات كلينيكية بمعنى الكلمة•

٢ – ان الكلينيكى لن يخسر شيئاً ، ان هو حل فروضه عن طريق المقاييس، أو أن هو استخدم المقاييس ليستثير مادة كلينيكية متحجبة • فالمقياس بالنسبة الى الكلينيكى ليس فحسب اداة قياس وتحقيق ، وانما هو ايضا منشط للاستجابات وكاشف •

٣ – وغالبا ما يحدث ، حين يتعثر • « الشبك » أن يهيىء المقياس ، فضلا عما تقدم ، ميزة كلينيكيه بمعنى الكلمة ، الا وهى اتاحة مادة « شبك » بين السيكولوجى والشخص •

٤ – ان السيكولوجى الفطن يفضل « التحسس » الموجه على « التخبط » الصرف المهدر للطاقة • وتسمح له تجربته ، ليس فحسب القياسية وحدها ، بل والكلينيكية ايضا ، ان يضع أنسب التعليمات لهذا الاختبار أو ذاك • وأنه ليستوى أن نقول ان كل ممارس سيكولوجى ، ينبغى أن يكون كلينيكيا أو يكون باحثا ، وليس مجرد انسان ميكانيكى •

٥ – ان الاستخدام الكلينيكى – التجريبى للمقاييس المقننة لهو وسيلة مستخدمه منذ زمن طويل • ويستهدف « الاستخدام القياسى » للمقاييس نتيجة موضوعية قابلة للقياس ، هى نتاج السلوك ، ولكن المقياس يمكنه ايضا أن يستخدم كموقف تجريبى ، وحينئذ تسجل الملاحظة الكلينيكية ، الوحدة الكلية للاستجابات ، الخارجية والفسيولوجية والشعورية ، كما تسجل دينامية تكيف الشخص للموقف الاجتماعى ، وللمهمة التجريبية المحددة له ، ولمسألكه الخاصه • ومقاييس الاداء هى

اكثر من المقاييس اللفظية صلاحية لمثل هذا الاستخدام الكلينيكى ـ التجريبى تحقيقا لاهداف تتصل بعلم النفس الفردى ٠

٦ ـ الى جانب هذا الاستخدام الكلينيكى ـ التجريبى للمقاييس المقننة ، هنالك مقاييس يمكن تسميتها « كلينيكية » ٠ حقا ان ضبط الموقف، وقياس النتائج غير مغفلين فيها ٠ وهى من هذه الناحية ، لا تزال بعد « مقاييس » ٠ ولكن الاجابات هى من السعة والتعقيد ، الى درجة أنه ، حتى حين يكون التسجيل الكامل ممكنا من الناحية النظرية ، وحتى حين يكون التفريغ والتطوير الاحصائيين جد ممعنين ، فأن ملاحظة وتاويل السلوك والنتائج ينتسبان الى النظرة الكلينيكية ، والى تصور دينامى للسلوك ٠ واشهر نمط لهذه الاختبارات هو اختبار « الرورشاخ » ٠ ولقد كتب « رورشاخ » نفسه أن تاويل النتائج هو عمل جد مختلف عن مجرد تكنيك ميكانيكى يستطيعه صبى المعمل ٠ وكذلك الحال بالنسبة الى اختبار تفهم الموضوع .T.A.T فان تاويل النتائج ، اكثر مما عليه الحال فى الرورشاخ ، يستند لا الى سلم قياسى، ولكن الى التحليل النفسى ، والفهم الدينامى للسلوك ٠

٧ ـ ان الاختبار ، قياسيا كان أم كلينيكيا ، لا يقدم لنا الا معطيات جزئية ، ويقع على عاتق النظرة الكلينيكية أن تضطلع بتحديد مكان هذه المعطيات من الكل وباستخلاص ما « للاداء » من دلالة ، تماما كما اضطلعت هذه النزعة ، بتحديد التعليمات الخاصة بالاختبار ٠

وفى الجملة ، سواء تعلق الأمر بالبحث أو بالتطبيق ، فأن القياس النفسى الخالص ، يكون من العقم الى درجة تزيد عما يكون عليه علم النفس الكلينيكى الخالص من « عدم التسلح » فكل بحث وكل تطبيق سيكولوجى عيانى يستعين بالنظرة الكلينيكية وبالمنهج الكلينيكى ٠ ومن ناحية اخرى ، فان علم النفس الكلينيكى يزيد من فاعليته حين « يتسلح » بالمقاييس ٠ وعلى هذا النحو فقط يستطيع الكلينيكى واخصائى القياس ان يلتقيا وأن يتعاونا٠

علمية المنهج الكلينيكى وموضوعيته

الا ان هذا الالتقاء بين المنهجين ، لم يمنع بعض التجريبيين المتطرفين من الطعن فى علمية المنهج الكلينيكى وموضوعيته ، مستندين فى ذلك الى ان اعتماد المنهج الكلينيكى على الملاحظة والحدس والتأويل يجعله مغرقـــا فى الذاتية على حساب الموضوعية العلمية . وهم فى ذلك انما يضعـــون نصب اعينهم ذلك المعنى التقليدى والضيق للعلم ، أى ذلك الانمـــوذج الفيزيائى الرياضى ، وقد تناسوا أن « العلم ، ليس قاصرا على النشاط الذى يجـرى فى المعامل والانابيب ، كما هو شائع فى اذهان البعض ، بل هو نشاط قوامه البحث عن العلاقات الوظيفيه بين الظواهر ، وعلى ذلك ، فهو طريقه فى التفكير ، أكثر من طائفة من القوانين » . (محمد عماد اسماعيل ، ١٩٦٢ ، ص ٢٦) .

ويقول « لاجاش » ، « اننا اذا ما استعرضنا فى الذاكرة تلك المجادلات التى اثارت التخديش المتبادل ما بين « الكلينيكية » و « اخصائيى القياس ». فاننا نجد أن الاعتراضات والانتقادات التى توجه الى علم النفس الكلينيكى تنحصر فى ثلاثة مآخذ رئيسية » . (لاجاش ، ١٩٦٥ ، ص ٣٩) .

١ ــ ان علم النفس الكلينيكى ليس نظريا خالصا .

٢ ــ ان علم النفس الكلينيكى ليس عاما .

٣ ــ ان علم النفس الكلينيكى ليس محكما .

وسوف نحاول الرد على هذه المآخذ بالرجوع الى آراء لاجاش (١٩٦٥ ، ص ص ٣٩ ــ ٤٨) .

١ ــ علم النفس الكلينيكى ليس نظريا خالصا :

ليس من الممكن ان ننكر ان علم النفس الكلينيكى ، انما يمزج بالبحث الموضوعى اهتمامات عملية ، بل هو يبدأ بالأمور العملية ، فهو « يشتغل » بأمراض تتطلب « التشخيص » و « العلاج » . وفى ذلك ما ينطوى على الاخلال

ببديهية سبق العلم على التكنيك والتطبيق ، ولكن هذه البديهية تنفتح للجدل أو على الأقل تسمح بالتأويل ٠

ان سبق العلم على التكنيك يمثل مطلبا منطقيا ، ولكنه لايجيب على الحقيقة التاريخية الواقعة ٠ وأننا نعلم اليوم أن التكنيك قد سبق العلم ، فالعلم يبدو من الناحية التاريخية ايضاحا وتنقية لمعارف كانت مختلطة بالاهتمامات العملية و « الوصفات » ، وتاريخ العلوم نفسه يرينا بأية جدية ، استطاعت التخييلات الاكثر ما تكون اولية أن تتسلل الى البحث عن الحقيقة ، فالروح العلمية ، هى ما يبلغ اليه عمل مضن من الاستبعاد للتخييلية » (لاجاش . Lagache ، ١٩٦٤ ، ص ٥٢٨) ٠

ويصدق هذا بنوع خاص على العلوم البيولوجية ٠ ولننظر مثلا فى مشكلة الصلة ما بين علم الامراض ، وعلم وظائف الاعضاء ، تلك المشكلة التى تتشابك الى حد كبير مع مشكلة العلاقة ما بين للتكنيك والعلم ، وذلك بسبب ما ينطوى عليه علم الامراض وعلم العلاج من مسلمات ، وبالتالى من عناصر « ذاتية » ٠ فلابد وأن طبا كلينيكيا وعلاجيا ، وأن علم أمراض « ذاتيا » قد سبقا علم وظائف الاعضاء ٠

واذا كان العلم يبدو من الناحية التاريخية ، تنقية لمعارف تختلط بعناصر « ذاتية » ليصل الى « الموضوعية » فان العملية العلمية ـ كما أوضح لاجاش فى مقاله « التخييليه والواقع والحقيقة » ـ انما تكون فى هذه الحركة الدياليكتيكيه بين « الميثوس » (العالم الخصوصى للذاتية الصرفه) ، « واللوغوس » (عالم العقل والحقيقة) ٠ وخلال هذه الحركة ، يتم تنقيح اخيولى ، وصولا الى « الموضوعية » العلمية ، وهذا التنقيح الاخيولى ، عملية معرفية ، قوامها « التوضيع » (الاحالة الى الموضوعية) objectivation لاخاييل لا شعورية ، أى لعناصر ذاتية ٠ (لاجاش Lagache ، ١٩٦٤ ، ص ٥٣٢) ٠ وبالاضافة الى ذلك ، فاننا لايمكن أن نغفل ذاتية الكائن البشرى وفرديته ، فأن الكائن البشرى ، كيما يتهيأ لبحث سيكولوجى ، سيان كان ذلك عن وعى منه أو عن غير وعى ، لابد له من دافع ، وغالبا ما ينشأ هذا الدافع من صراع يتطلب الحل أو التجنب ٠ ويتفق ذلك مع طبيعة الاشياء ،

فالكائن الحى يعيش فى عالم قيم ، ومن العسير ان نتصور موقفا من المواقف يخلو من دلالة حيوية •

وهكذا أفاد ماهية علم النفس ، هى ذاتها تفترض وجود المشـكلات العملية • ولكن يبقى من حيث المبدأ ، ان ما يبذل من اهتمام بالاهـداف العملية ، كتقديم الاستشارة والعلاج ، واعاده التربية ، لا يغير شيئا من حقيقة الواقع •

٢ ـ وعلم النفس الكلينيكى ليس عاما :

اذا كانت الدراسات العميقة للحالات الفردية ، هى اساس علم النفس الكلينيكى فانه لاينبغى ان يغيب عنا ان الحالة الفردية ليست الا جزءا من عينة أكثر سعة •

واذا كان البعض يعرف علم النفس الكلينيكى بحسبانه تطبيقا على الحـالات الفرديـة ، للعـلاقات العامـة التى اثبتها التجريب (من Munn ١٩٤٦ ، ص ٢٥) فينبغى أن نذكر أن المنهج التجريبى ، ليس له من قيمه حقه الا بقدر ما يبلغ بالفعل الى ضبط جميع المتغيرات • ولكن يبدو ان التجريبى كثيرا ما يجد نفسه منساقا الى ان يغفل ، من بين المتغيرات ، شروط الحياه فى خارج المعمل ، بل والمعمل نفسه ، والمجرب •

ان ما يحدث فى الواقع هو انه بالنظر الى ما تنطوى عليه المسـالك البشرية من ثراء وتعقيد ، فان السيكولوجى ، يفضل ان يتجه باهتمامه الى الحاله الفردية وان يلتقط ملاحظة يضيىء بها معالم مشكله ، « فثمه حكمه طبية قديمة توصى بتعميق الملاحظات بدلا من تكثيرها » •

هذا الى أنه « عن طريق دراسة « الحالات » يتعلم النفسانى ، كيف يتناول الكائنات البشريه ، وكيف يجرها الى أن تكشف عن ذاتها ، وكيف يتصور حياتها وسلوكها ، مستعينا بالملاحظة و « التاويل الفهمى » للمسالك من حيث هى تعبيريه وذات دلاله ، ويجد النفسانى ايضا فى دراسة الحالات،

الطريق المباشر الى صميم المشكلات الانسانية » (لاجاش ، ١٩٦٥ ، ص ص ٢٣ ــ ٢٤) .

كذلك ففى امكانية دراسة الجماعات الانسانية ، دراسة كلينيكية . ما يبين امكانية توسع المنهج الكلينيكى واعداده .

فمستقبل علم النفس ، يشتمل بالضرورة على امتداد المنهج الكلينيكى امتدادا ينسحب على المسالك البشرية ، الفردية والجماعية ، السوية والمرضية . ونستطيع هنا ان نضيف الى وجهة نظر لاجاش ، توضيحا لمفهوم «العمومية» فى العلم ، نستقيه من المقارنة بين « النهج الجاليلى » و « النهج الارسطالى فى تناول الوقائع .

فمفهوم العمومية ذو معنيين : فمن ناحية نستطيع ان نصل الى قضية عامة ، ابتداء من الوقائع عن طريق التجريد ، وهذا هو النهج الارسطالى . حيث نفحص عددا كبيرا من الحالات المتفرقه ، تكون فيها العمومية من العظم، بقدر ما تكون الحالات من الفقر . ومن ناحية أخرى نستطيع أن نبحث ضمن حالة فردية ، من تقاطع الوقائع . وهذا هو النهج الجاليلى ، حيث نصل الى العمومية ببلوغنا الى مركز الظاهرة . وفى هذه الحالة الاخيرة ، نكون ازاء عمومية أساسية ، وليس أمام عمومية مجـــردة . وعلم النفس ينبغى ان يستوحى هذه العمومية الأساسية ، غير المجردة . ذلك انه « لايوجد كائن بغير موقف ، ولا يوجد موقف الا بالنسبة الى كائن » . و « ليس هناك » علم نفس للانسان » بمعنى عام ، وفى فراغ ، ان جاز القول ، بل فحسب علم نفس فى مجتمع عيانى بعينه ، وفى مكان اجتماعى بعينه ، ضمن هذا المجتمع العيانى» (فينخل ، ١٩٦٩ ، ج ١ ، ص ص ٣١ ــ ٣٢) . و « الحقيقة الانسانية ليست نفسية فحسب ، وانما هى نفس ــ اجتماعية » .

ومن هنا يقرر جولد شتين بانه « لأمعن فى العلم » ان يدرس الباحث حالة واحدة بعمق ، من أن يقارن بصورة سطحية وقائع عديدة ، لايستطيع أن يرجعها الى سياقاتها » (صلاح مخيمر ، ١٩٦٨ ، ص ١٠٠) . « فالفهم المناسب للسلوك ، ينبغى أن يكون تاليا للدراسة الكاملة والتفصيليه للحالات

الفردية ، وكما قدمت « دراسة الحالة » مساعدة لاتقدر لنمو وتطور العلوم الطبية ، فان مستقبل علم النفس ، يرتبط بقبول الباحثين لبذل الجهد والوقت في سبيل الفهم الكامل للحالات الفردية » (مورای فی هول ولنذری ، ١٩٧١ ، ص ٢٥٧) •

وهكذا فأن المنهج الكلينيكى بقدرته على بلوغ العمومية المركزية العميقة، انما يبلغ الى العمومية الحقه •

٣ ـ علم النفس الكلينيكى ليس محكما :

ان النزعة الكلينيكية فى رأى البعض ، هى حدسية فى طابعها ، وهى لاتستهدف العلم ، وانما هى فن يتجه الى التطبيق • وردنا على ذلك انه ليس من الصحيح بحال ، اننا عند دراسة احداث حياة بشرية ، يكون علينا أن نختار بين وصف حى حدسى ، يصدر عن فنان ، وتجريد منسلخ يصدر عن عالم لا يفكر الا بالكم ، فليس من الضرورى ولا من المباح ان نتجرد من المشاعر ، عندما نضطلع بدراسة علمية للمشاعر • ولقد قرر « فرويد » ذات مرة ، انه ليس بمسئول عن أن تاريخ حالاته يوحى بانطباع روائى ، فكيما نفهم الاعصبة ، يتحتم علينا ان نقرأ تاريخ حالات شبه روائية من هـذا القبيل » • (فينخل ، ١٩٦٩ ، ج ١ ص ٤٠) •

ان الذين يوجهون هذا المأخذ الى علم النفس الكلينيكى ، انما يضعون فى اعتبارهم ان تعريف الاحكام العلمى ، انما يتم وفق نمط الفكر الفيزيائى الرياضى ، وان هذا الفكر الفيزيائى الرياضى هو وحده الذى يتمخض عن نتائج علميـة •

« ولكن هذا التمسك بالاحكام الفيزيائى الرياضى ، أنما يتضمن خفض السلوك البشرى الى انموذج فيزيائى ، بينما الشخصية الانسانية والسلوك الانسانى لا يمكن بحال خفضها الي مجرد انموذج فيزيائى • فالسـلوك البشرى هو « انبثاق » فريد ينطوى على اسلوب آخر للتدليل ، غير هـذا الذى يستخدم فى الموضوعات الفيزيائية ، كما ينفتح لدرجة مباينـة من الاحتمال » (لاجاش ، ١٩٦٥ ، ص ٤٤) •

ومن هنا ، فبدلا من أن نضيع الجهد والوقت فى تقليد العلوم الفيزيائية، تقليدا فقيرا سطحيا ، جدبا ، هو نقل بالضبط ، نقل حرفى ، يصل بنا الى علم نفسى « علمى » ينطوى على قوانين وعلاقات شبيهة بالقوانين والعلاقات الرقمية التى فى الفيزياء ، ينبغى بدلا من ذلك ان نتطلع الى التقليد الخصب « التقليد العميق ، أى ان نتبين العلة الحقيقية التى جعلت المعرفة الفيزيائية تتطور وتزدهر ».

فلا ينبغى البحث عن مشكلات ينطبق عليها منهـــج لدينا ، وانما ينبغى البحث بالحرى عن مناهج تسمح بحل المشكلات القائمة أمامنا » (لاجاش ، ١٩٦٥ ، ص٤٤ ــ ٤٥) لقد أوضح « ليفين » أن تطور العلوم الفيزيائية وازدهارها ، قد بدأ فى اللحظة التى توقف فيها البحاث عن مجرد تسجيل الوقائع • فكشف جاليليو ، لا يمكن فهمه « بالنظر الى الوقائـــع المباشرة » (الملاحظة الموضوعية المطلقة) ، فالعلاقة ما بين ريشة تطير ، وحجر يسقط ، و « بلية » تتدحرج على سطح منحدر ، لاتصبح متاحـــة للفهم ، الا عندما « نعيد بناء » هذه الوقائع ، وعملية « اعادة البناء » هـذه انما تتم فى ذهن الباحث وعبر ذاتية ، وصولا الى « نماذج مثالية » أو أنماط مثالية ، أو علاقات مثالية ، تسمح بفهم الظواهر الأخرى الماثلة • (ليفين Lewin ، ١٩٣٥ ، ص ص٢٣ ــ ٢٩) • « فجاليليو » قد أعاد بنــــاء معطيات الحواس بأجراء فكرى ، تفاعل فيه ما هو ذاتى بما هو موضوعى •

ومن ثم يمكننا القول بأنه ، ليس هناك من ملاحظة مطلقه • فكـل ملاحظة موضوعية ، انما تنبنى عبر الذاتية • « فان ما ندركه وما نلاحظة ، لا يعدو أن يكون » الآخر « فى علاقته بنا ، نحن الملاحظين • وهذه الفكره ، فكرة نسبية الموضوع ، بالقياس الى القائم بالملاحظة ، رغم بساطتها ، بل وما قد تبدو عليه من سذاجة للوهلة الأولى ، لم يستغلها العلم فى كـــل نتائجها المكنه • فكثير من علماء النفس يؤمنون بضرورة التغلب عـلى هذه النسبية ، كما كان الاعتقاد فى الفيزياء ، بأنه من المكن أن نستبعـد تماما ذاتية القائم بالملاحظة • أما اليوم فان الفيزياء الحديثه ، تؤمـن

بأنه من المستحيل أن – نصل الى نتائج تجريبية ، تكون بمثابة نتائج لملاحظة موضوعية مطلقة .

كذلك الحال بالنسبة الى علم النفس ، فانه ينبغى أن يقوم ، ينبغى أن ينبنى عبر النسبية . (صلاح مخيمر ، ١٩٧٨ ، ص٩٩) .

ولعل هذا كله هو ما يعبر عنه مورينو حين يقرر « أن الموضوعية كيما تكون خصبة ، يتحتم عليها أن تعانى نوبة من الذاتية » . (المرجع السابق) .

وهو أيضا ما يعبر عنه ميرلوبونتى بقوله « ان الوقائع ، لا تصبح علما الا فى ذهن الباحث الذى يضطلع باعادة بنائها ، بحيث يكشف عن العلاقة الأساسية المركزيه فى الظاهرة . وفى هذا ما يضع ذاتية الباحث بين موضوعية سابقه ، وموضوعية لاحقه ، بل ان الذاتيه هى التى تتيح للموضوعية أن تتقدم الى موضوعية أكثر دقة ، وأمعن موضوعية ، ان جاز التعبير » . (صلاح مخيمر ، ١٩٦٨ (أ) صص٣١ – ٣٢) . ولعل هذا أيضا هو عين ما يقصد اليه « سارتر » حين يقرر أن الذاتيه ليست غير لحظة بين موضوعيتين : موضوعية قائمة نتخطاها بالذاتية ، الى موضوعية جديده أكثر امتلاء ، وأمعن خصوبة » . (صلاح مخيمر ، ١٩٦٨ ، ص ٩٩) . وما يعبر عنه « هيجل » بقوله « ان العلم وهو الانتقال من الاحساس الفردى الى العقل الكلى » (هوسرل ، ١٩٧٠ ، ص٢٦) . وهو نفس ما يقصد اليه هوسرل بقوله « ان الشعور . هو المحل الوحيد الذى تتحقق فيه موضوعية الوجود » (المرجع السابق ، ص٧١) . وفى ذلك أيضا ما يتفق مع « ماركسى » « فالشروط البيئية تولد الوعى فيتجاوزها الوعى تعديلا وتشكيلا للظروف البيئية . والموضوعية الخارجية ، تتمخض عن ذاتية عن ارادة التغيير ، التى تعيد تشكيل الواقع الخارجى » .
(صلاح مخيمر ، ١٩٦٨ (أ) ، ص٣٩) .

وما تذهب اليه أيضا نظرية الجشطلت حيث « يمثل الوعى والذاتيه الظاهره الدينامية ، هذه التى تنبثق ابتداء من الشروط الطوبوغرافية المحيطة » (صلاح مخيمر ، ١٩٧٥ ، ص١٧٤) .

وخلاصة الأمر أن قضية الأحكام ، والموضوعية المطلقة فى المنهـــج الكلينيكى ، تنحل من تلقاء نفسها ، فكل معرفة موضوعية ، انما هى ــ كما سبق ــ بناء يتم عبر ذاتية الباحث ، ومن خلالها • وهكذا ، يستحيل علينا الافلات منها ، واذا كان ذلك يصدق على كل العلوم ، فانه يصدق بالدرجة الأولى على علم النفس • ويرى زيور أن الموضوعية المطلقة لا وجود لها فى نطاق المعرفة العلمية ، وانما الأمر ، أمر موضعه objectivation لا موضوعية objectivity ، يسعى الباحث العلمى الى تحقيق أكبر قدر متاح منها تدريجيا ، بصقل أساليب بحثه النوعية ، بحيث تزداد الموضعه بقدر نقصان العوامل الذاتيه ، فالموضوعيه بهذا المعنى ، هى المعـــرفة المقبولة من كثرة من الباحثين (مصطفى زيور ، بدون تاريخ ، المقدمه) •

ولكن اجماع الباحثين ، ليس بدليل على الموضوعية ، فنحن نجـــد « لاجاش » يقرر أن » ما نسميه بالموافقة الاجماعية ، لا نضمن لنا بمفرده حقيقه قضية ما ، فالاجماع يمكن أن يتحقق بالنسبه الى قضايا كاذبـة أو ناقصة ، وقتية وتقريبية ، فالاتفاق على الخطأ ، يصدر فى مثل هـذه الحالات ، من تشاطر أحكام قبلية ، وأيديولوجيات ، وأساطير ، وباختصار امتثالات من طبيعة التخييلة ، فالى اتفاق النفوس فيما بينها ، ينبغى أن نضيف اتفاق النفس مع الأشياء ، واتفاق الأشياء فيما بينها • واتفاق النفس مع الاشياء ، يفترض أن الحكم يستند الى معطيات الواقع ، وأنـه لا يتجاوزها ، وبعباره أخرى ، أن يكون الافتراض اقتصاديا : لا يستطيع أن يتجاوز الوقائع ، ومن حيث هو فرص للعمل ، تأتى المعطيات الجديدة ، فتؤكده ، أو تعدله ، أو ترخصه • واتفاق الأشياء فيما بينها ، يعنـى الاتساق الذى يبلغ أو لا يبلغ البحث عن الحقيقة الى اقامته بين الوقائع ، (لاجاش Lagache ، ١٩٦٤ ، ص٥٢٩) •

وعلى اية حال ، ففى مجال علم النفس ، لا سبيل الى استبعـــاد الطـــرح ــ Transference ومقابل الطرح Counter transference • فى أى موقف انسانى ، بما فى ذلك موقف المجرب فى معمل علم النفس ، أو موقف القياس النفسى ، » ان الموضوع الأساسى لعلم النفس ، هو هذا الحوار

الدياليكتيكى بين « الانا » و « الانا الآخر » ، بين « الانا » و « الانت » حوار درامى لا ينفك صاعدا هابطا متأرجحا ، تأرجح أحوال الانســـان. – مما يجعل مهمة الضبط التجريبى عسيره – ولا ينقطع الا بانقطاع الحياه النفسية ، كما هو الحال فى المرض العقلى المستفحل ، حيث يحل محـــل الحوار الدياليتيكى المستند الى التوحيد Indentification ، بذات الآخـــر ، حوار احترارض ، تتفادى به الذات الالتقـاء الدياليتيكى بذات الآخر ، ومن ثم فان المحللين النفسيين ، يرون أن أى دراسة فى علم النفس ، لاتتخذ هدفا لها ، هذه العلاقة « بين الذاتية » Intersubjectivity ، انما تقع خـــارج المرمى ، اذا صح استخدام لغة كرة القدم » (مصطفى زيور ، ١٩٦٣ ، التصدير) .

واذا ما استطردنا مع « زيور » فى وجهة نظره ، فاننا نجده يقرر فى موضع آخر « أن الاخصائى النفسى الذى يلتزم بالتحليل الكمى ، التزاما حرفيا ، دجماطيقيا ، يقع من حيث لا يدرى فيما أراد أن يتحاشى الوقوع ، أعنى اختلاط « الذاتية » بنتائجه التى أرادها « موضوعية » بحته • فقـد قام الدليل على أن أى علاقة بين فردين من الناس ، انما هى أولا وأخـيرا علاقة بين – ذاتيه ، وبالتالى فان الموضوعية الحقه هى التى تأخـــذ فى الاعتبار متغير الذاتية •••• وكما أن الحرية الحقه هى الفطنه الـــى الحتمية النفسية ، فطنة تتيح لنا معالجتها ، فان الموضوعية الحقه ، هى الفطنة الى حتمية الذاتية ، على نحو يمكننا من أن نقدر تأثيرها ، بوصفها « متغيرا طبيعيا » (مصطفى زيور ، ١٩٦٩ ، التصـــدير) • ولكن « زيور » هنا لم يوضح لنا أية « ذاتيه » تلك التى نفطن الى حتميتها ، لا ولا كيف نعتبرها « متغيرا » طبيعيا ؟

وهنا نتساءل « اذا كان من المستحيل اخضاع الذاتية للضبط التجريبى، واحكامه وصرامته ، ومن ثم يستحيل معاملة الذاتيه ، معاملـــة متغيـــر طبيعى ، فما الذى تعنيه هذه العباره ، اللهم الا أن تلقى بنا فى بحار الذاتيه التى لا قرار لاغوارها ؟ » .

ونجد الاجابه عند لاجاش حيث يقرر بأن « الموضـــوعية الحقه ،

تنحصر فى هذه الوثبة الكيفية التى تنقلنا من عالم « الميثوس » (العالم الخصوصى للذاتيه الصرفة) الى عالم « اللوغوس » (عالم العقل والحقيقه) وذلك من فوق عالم « الديماجوس » (العالم المألوف ـ عالم الرأى العام والحس الفطرى) ، وبعيدا عن عوالم « الأبولونوس » (عالم الفن) . (لاجاش ١٩٦٤ ، ص٥٣١)

« فالذاتيه » Subjectivation لا يمكن حساب تأثيرها كمتغير طبيعى، بل الممكن الوحيد ، هو تخطيها فى « مقابل الطرح » ، عبر وثبة كيفية الى التأويل . عندئذ تستحيل هذه الذاتية الى موضوعية وعلم ، فيكون من الممكن للكلينيكى أن يخضع « تخييلته » لتحكم المنطق .

والموضوعية ، ليست فطنة الى حتمية الذاتيه ، بل هى فطنة الى ذاتيه التخييله أى « وعى » بالذاتيه ، من حيث هى ذاتية ، أى « معرفة » ، وهى بالاضافة الى ذلك وقبل ذلك ، ينبغى أن تكون فطنة الى نوعية هذه الذاتيه ، بمعنى ، ما ان كانت ذاتية تقوم بتشويه الواقع عبر تنقيته وتصفيته ، مما يتضح فى ذاتيه التخييله ، او كانت ذاتية تعيد بالتأويل بناء الواقع فى صورة انموذج هيكلى ونمط كيفى ، تكون كل الحالات الأخرى الماثلة تشكيلة تباينات له . هذه الذاتيه ، ذاتية التأويل هى الذاتيه التى تقيم العلم ، هى الذاتيه العلمية ، فالفطنة الى حتمية الذاتيه ، لا تعنى ، شيئا ، اللهم الا أن تنطوى هذه الفطنة على القدره على التمييز بين ذاتيه « الميثوس » لتكون موضوع رفض واستبعاد (فقد أوضح لاجاش أن الروح العلمية هى ما يبلغ اليه عمل مضن من الاستبعاد وللتخييله) وذاتية « اللوغوس » لتكون وحدها أسلوب الكلينيكى فى العمل والممارسة . وفى ذلك ما يتفق مع وجهة نظر « هوسرل » « فهو يرى فى الذات المتعاليه ، لا فى الانا النفسى الاساس الذى تتقوم به كل حقيقة موضوعية » (هوسرل ، ٧٠ ، ص٦٧) .

وصياغة التأويل يمكن وصفها على أنها انتقال من التخييله الى الخيال الذى « يعيد البناء »

L'elaboration de l'interpretation pourrait être d'écrite comme un passage de la fantaissie à l'imagination reconstructive .

(لاجاش Lagache ، ١٩٦٤ ، ص٥٣١) • أى انتقال من ذاتية الميثوس الى ذاتية « اللوغوس » الذاتيه الصرفه للعالم الخصوصى الى « الذاتيه الموضوعية » ان جاز القول ، من ذاتية « التخريف » الى ذاتية « التأويل » • فالموضوعية الحقه ، تكون فى هذه الوثبه الكيفية من « ذاتية التخييلات » الى « التأويل » الذى يبنى الوقائع بناء جديدا ، فى صورة أنموذج هيكلى ، نمط كيفى ، نمط من العلاقة المثالية ، بحيث تكون جميع الحالات الأخرى المماثلة مجرد تشكيله تباينات مجرد تبدلات وضعية لذلك الأنموذج الهيكلى (نهج جاليلى) :

« وكائنا ما كانت اهمية اسهام « الحدس » والتخييله ، فى المنهج الكلينيكى ، فان « التأويل » عملية عقلية ، دأبنا على تحديد معاييرها (معايير المنهج الكلينيكى) • وعن التأويل يتحدث فرويد ، كما لو كان يتحدث عن تدليل منطقى ، عن برهان يعطيه المحلل النفسى للمريض • انه ليس الواقع (ذلك الذى تقوم التخييله بتشويهه عبر التنقية) ، بل هو التأويل الذى يشكل تعارضا مع « القاعدة الأساسية » ، وذلك لأنه اذا كانت القاعدة الأساسية ، يمكن أن تتلخص فى « عليك بالتخريف » ، فان « التأويل » يريد أن يقول « والآن علينا أن نفكر أنت وأنا » • وهكذا فان التأويل ، يتمخض عن وثبة كيفية من التخييله الى الحقيقة ــ من الذاتيه الى ديالوج حق بين « قضايا المعرفة » • فثمة معبر يقوم بين ــ العالم الخصوصى « الميثوس » وعالم العقل « اللوغوس » ، وذلك من فوق العالم المألوف للواقع الادراكى ، عالم الرأى العام وعالم الحسى الفطرى • واقامة هذا المعبر لا تعنى تدمير التخييلة اللاشعورية ، ذلك أن التخييلة اللاشعورية ، تجيب على وظيفة ــ دائمه وأساسية للجهاز النفسى • وعليه فان « التأويل » لا يضع فى مكانها تخييلة شعورية ، بل يضع فى مكانها «الوعى» بالتخييله ، أى «معرفة» (لاجاش ،Lagache ، ١٩٦٤ ، ص٥٣٢) • وكذلك فان العملية العلمية ، تكون فى هذه الحركة الدياليكتيكية بين « الميثوس » و « واللوغوس » ، مما يعبر عنه لاجاش « بالتقدم فى القدره

على الانتقال من العقل الى « التخييله » ومن التخييله « الى العقل » ، وعلى التحرك ما بين هذين الجهازين المرجعيين ، مما يتعارض مع « الانحباس » فى العالم الخصوصى للتخييله ، أو العالم المألوف للحس الفطـــرى والرأى العام المألوف للحس الفطرى والرأى العام » (لاجاش Lagachye ١٩ ، ص٥٣٢) وخلال هذه الحركة يتم « تنقيح » اخيولى ، وصولا الى العلم (الموضوعية) «فهذا التنقيح الاخيولى ، عملية معرفية » (المرجع السابق) تتيح تعديلا يدخل التخييله (ذاتية العالم الخصوصى) الى الموضوعية العلمية ، أو هى بحسب تعبيـــر لاجاش عملية « توضـيع » (احالة الى الموضوعية) Objectivation •

ولكن ذلك يعنى بالضرورة أن « اللوغوس » ، ليس مستقـــلا عن « الميثوس » ، وليس فى ذلك من جديد ، طالما أن العلم ، وأن الحقيقـــة الموضوعية ، انما تنبنى عبر ذهن الباحث وعبر ذاتية ، ولكن هوسرل يؤكد « حقا ان وجود الأنا ، يكون سابقا على كل وجود موضوعى من وجهة نظر المعرفة • انه بمعنى ما ، المجال الذى تتكون فيه كل معرفة موضوعية بالمعنى الذى نطلقه عادة على هذه الكلمة » (هوســـرل ، ١٩٧٠ ، ص١٣٤) • وكلمات هوسرل توحى بأن عالم الميثوس ، عالم التخييلات والأخاييل ، عالم الذاتية الصرفة ، سابق على عالم اللوغوس ، عالم العقل والمعرفـــة الموضوعية • ان فى ذلك ما يذكرنا بكلمات لاجاش ، « ثمة تقليد طويل الأمد يفصح عن هيمنة « التخييله » على الوجود الانسانى ، فحكمة عديد مـن القرون ، قد عبر عنها الشعراء فى قوة » نحن من نسيج الاحلام نفســـة We are such stuff as dreams are made on فيروسبيرو Prospero فى العاصفة » مثل كالديرون Calderon ، الذى يجعل من ذلك القول المأثور ، عنوانا لاشهر تراجيدياته : « الحياة حلم » •••• ومع ذلك فقـــد استطاع الانسان أن يقيم فى هذا الحلم جزرا متماسكه ومتلاقية ، من الحقيقة ومن الفاعلية • ولكن البحث عن الحقيقه هو نفسه مقصد من المقاصد الأساسية لحلم الانسان ، واذا لم تكن هناك تخييلة وخيال ، لظل الانسان كالحيوان ، سجين الحاضر والاشياء ، ولما كان هناك واقع ولا حقيقة » (لاجـــاش Lagache ، ص ص ٥٢٨ ـ ٥٣٣) • فاذا كانت الحياة حلما ، فان الحلم يعبر على نحو ما عن عجز الانسان عن تطويع الواقع ، والا لما كانت به حاجة

الى أن يحلم ، ومن هنا يكون الحلم ليتيح للرغبات أن تتحقق فى واقع آخر ، غير الواقع ، ونعنى واقع الحلم • ولكن اذا كانت الحياة كلها أقرب شىء الى الحلم ، فانها حلم ينطوى فى بعض جنباته على الرغبة فى تجاوز نفسه ، من حيث هو حلم ، أى عجز عن تطويع الواقع لرغباته ، وتلك ولا شك هى دياليكتيكية الحياة التى تقضى على الانسان أن يحلم ، بالتوقف عن كل حلم ، الأمر الذى لا يمكن أن يكون الا بالعلم ، تطويعا مكتملا « للواقع » ليحيله الى « حقيقة » •

معنى هذا أن تلك الرغبه من الانسان فى تطويع « الواقع » لرغباته ، غير الرغبة فى العلم ، التى تمكنه فى حلم حياته من أن يحلم ، بوضع حد لهذا الحلم ، عندما يبلغ الى اخضاع كل « الواقع » « للحقيقة » ، ومن ثم ينفتح الأمل فى أن يصبح الواقع مطوعا لرغباته •

« ان امتداد « التخييله »» يولى أهمية كبرى لكلمات كالديرون Calderon « الحياة حلم » ومع ذلك فالرغبة تنشد موضوعات مستقله عن « التخييله » ، واذا كانت هذه الموضوعات تستطيع أن تمنح نفسها للرغبة ، فانها تستطيع أيضا ، أن تمنع نفسها عنها ، والصراع بين مطلب الفرد وبين مطلب البيئة أو اسهامها ، هو أساس الصراع بين « التخييله » و « الواقع » •

ومع ذلك فان الواقع ملتبس ، وتعارضه مع التخييله ليس جذريا ، فما يتم ادراكه من البيئه ، هو « ما يمنح نفسه للرغبة » بأقل مما « يمنع نفسه عنها » • ادراك ليس فقط بالجزئى Partielle بل أيضا بالتحيز Partiale طالما أنه يصنع ويطرح الواقع كمضاد ــ رغبة » •

والالتباس يوجد أيضا فى مبدأ الواقع : فهو اذ يقيم المعرفة الموضوعية، يقيم أيضا « الانكار » الذى تشترك فيه ميكانيزمات الدفاع ، ولكن ليس بدون اسهام مبدأ الكدر ــ اللذه : فالقهر الدفاعى يرفض المكدرات •

ومن أجل هذا فقد يكون من المناسب أن نسلخ عنه مبدأ الحقيقة •••

هكذا يبدو الواقع مجرد «مترابط» بالتخييله ، ولكنه ، « مترابط » تقوم « بتنقيته » التخييله:

«La realité apparait ainsi comme un corrélatif de la fantaisi mais un corrélatif infiltré par la fantainsie»

أما الحقيقة ، فتجاوز للصراع « تخييله – واقع » وفى مقابل ذلك ، اذا لم يكن هناك « واقع » مستقل ، لما كان من الممكن التعرف على التخييله » . واذا لم يكن هناك عقل لما كان من الممكن معرفته • ذلك فى نهاية الأمر هو المنطق الذى يتيح لنا الرؤية الواضحة فى « التخييلة » (الذاتية) ، بمعنى أن يتيح لنا البلوغ الى الحقيقة (الموضوعية) • ولكن هذا المنطق ما كان له أن يبلغ الى ذلك ، لو لم يكن العقل موجودا بالفعل ، كائنا ما كان ذلك النحو ، الذى يكون عليه « متضمنا » فى التخييلة » (المرجع السابق ص٥٣٤) ومن هنا يمكننا القول بأن « الموضوعية العلمية » لا تعنى الاستقلاليـــة التامة للفكر والفعل ، بالنسبة الى الابنية اللاشعورية ، ولكنها بالحرى استقلالية نسبية ، تنطوى على الاتصـــال ما بين الابنية اللاشعورية ، وبين الأنشطة التوافقية والابتكارية للفرد • « ان المشروع الوجودى ، توجد منابعه فى الوحدة الاخيولية اللاشعورية • ويبقى من الصحيح أن الرغبات اللاشعورية هى صميم كياننا (المرجع السابق ص٥٣٣) •

ولكن كيف يمكن « لذاتية الميثوس » أن تتحول عبر « التأويل » الى « اللوغوس » الذى هو « ذاتية علمية » ، ان جاز القول ، تجيب على أدق نحو ممكن على موضوعية الوقائع » • ان لاجاش يورد لنـــا مثـــلا يوضـــح من خلاله كيف تحولت الاخيوله عبر التأويل الى « معرفة علمية » : « رجل لم يكن يضاجع غير المحترفات ، كانت لديه الاخيوله اللاشـــعورية التى قوامها أنه أمرأه تعانى الجماع ، وتنجب طفلا ، وكانت بعض المحـــترفات يمثلن بالنسبة اليه المطل ، مما وجد ما يدعمه – دون ما حاجة الى ذكـــر معطيات أخرى – عندما أعلن المريض ذات يوم فى نهاية الجلسة ، وهـــو ينهض من فوق الاريكه : « انت أيضا تجعلنى أنام على ظهرى » ، وفى مثل هذه الظروف ، ونعنى عندما كان الاتصال بالمحترفه يتم والمريض نائـــم على ظهره ، كان يحدث أن تفشل محاولاته للجماع ، وكان هذا الفشـــل

تصحبه سخرية فى داخلة ، يمكن صياغتها كما يلى « انت لن تأخذنى » . وهكذا فان منطق تخييلته فى أن يكون امرأه تعانى الجماع ترتب عليه أن يعنى « تغيب نشوته ، لا العجز الجنسى الرجلى ، بل التبلد الانثوى » (المرجع السابق صص٥٣٤ ـ ٥٣٥) .

فالتخييله اللاشعورية عند المريض ، لا يشعر بها ، ولا يقول بها ، ذلك « أن التخييلة لها عللها التى لا يعرفها العقل

La fantaisie a ses raisons que la raisons ne connait point .
Fantasme

والتخييله هى الأخرى لا تعرف هذه العلل ، ولكن العقل وحده هو الذى يستطيع أن يكشف عنها (عقل المعالج من خلال التأويل) . واذا كان العقل يستطيع أن يكشف عنها ويمسك بها ، فذلك بالطبع لأن هذه العلل كامنة ـ سبقا وبالفعل ـ فى الوحدة الاخيولية . وذلك معناه بعباره أخرى أن « اللوغوس » حاضر ـ سبقا وبالفعل ـ فى « الميثوس » ، أى أن الذاتية العلمية توجد ضمن الذاتية الصرفة .

« ان النظرية » الاقتصادية ـ الديناميــة » للتخييلة اللاشعورية ، أى لهذا الذى يكشف عنه التأويل ، انما يخص طبيعة التخييلة اللاشعورية ، حركة لا شعورية للنفس تمتد متواصلة فى التخييله قبل الشعورية والتخييله الشعورية ، وتتوقف فى الأخاييل الشعورية التى تنتهى اليها هذه الحركة » (المرجع السابق ، ص٥٣٥) .

ان هذه العبارة توضح لنا طبيعة التخييلة ، وحركة الذاتية من ذاتية غير علمية الى ذاتية علمية ، فالفكرة تبدأ « تخييله لا شعورية » ثم تمتد متواصلة فى التخييله قبل الشعورية » و « التخييلة الشعورية » ، وتتوقف فى الأخاييلFantasme ، حيث تصبح حقيقة علمية .

ومن هنا فالموضوعية انما تكون بتخطى الذاتية الصرفة للعالم الخصوصى ، عالم الميثوس الى « الذاتيه الموضوعية » ، ان جاز القول « للتأويل » ، عالم « اللوغوس » . فالتأويل اذ يعيد بناء الوقائع فى صورة

الانموذج الهيكلى ، انما يقيم بذلك النظرية التفسيرية ، أو القانون التفسيرى الفهمى (الذى يختلف عن قوانين التواتر) • مما يجيب « بالحقيقة » على موضوعية (الواقع) •

ولا يفوتنا هنا ، أنه على هذا المتصـــــل بين « ذاتية الميثوس » و « ذاتية اللوغوس » انما تتحدد درجات السوية بالنسبة للكائن البشرى • فذاتية الشخص ، ليس أمامها الا احتمالات ثلاث :

١ ـ أما أن يضحى بها نزولا على الموضوعية الخارجية ، فيكون التوافق التواؤمى •

٢ ـ واما أن يتشبث بتلك الذاتية ، فيظل عاجزا عن أن يتخلى عنها ، وان كان فى الوقت نفسه ، عاجزا عن أن يبلغ بها الى أن تكون موضوعية خارجية ، فيكون العصاب أو الذهان حيث تتراجع الموضوعية شيئا لحساب الذاتية •

٣ ـ واما أن يتشبث بذاتيته ، ولكن ينجح فى أن يفرضها على الآخرين ، ويحولها من خلال مشاركتهم له ، الى ذاتية موضوعية ، وذلك توافق العالم أو الفنان • « فالفنان وقد انسحب من الواقع الى اخاييله ، يجد طريقة عائدا الى العالم الموضوعى بأن يقدم اليه عمله الفنى » • (فينخل ، ١٩٦٩ ، جـ٣ ، ١٠٧١) •

أما فيما يتصل بالموضوعية ، فى علاقة الكلينيكى بالآخر ، واعنى فى حالة الملاحظة المشاركة من جانب الكلينيكى ، فما من سبيل لتخطى الذاتيه الى موضوعية التأويل الحق ، الا بالرجوع الى ما وراء الذات ، بحيث يمسك الكلينيكى بنفسه ، ضمن اطارها الحقيقى ، أى ضمن قاعها اللاشعورى ، عندئذ وعندئذ فقط يتوقف الكلينيكى ، ليمسك بالآخر ، ضمن الاطـــــار الحقيقى لهذا الآخر ، وبعيدا عن كل ادراك اسقاطى •• ففهم الآخر مسألة مستحيلة قبل فهم الذات • وتظل الموضوعية بذلك ، هى الوثبة الكيفية من عالم « الميثوس » بتخييلاته وأخلييله ، وكل مكنونات قاعة اللاشعورى ،

الى عالم « اللوغوس » ، الذى يبنى موضوعية الوقائع ان جاز القول « فى العالم الداخلى (عالم الذاتيه التى تعى ذاتيتها) ، صرحا تأويليا (النظريات التفسيرية والقوانين الفهمية) ، يجيب « بالحقيقة » على « الواقع » وتلك هى « الموضوعية » الحقه ٠

ويمكننا فى النهاية أن نقول مع لاجاش « ان الانتقادات الرئيسية الموجهة الى علم النفس الكلينيكى ، انما تستند الى مثل علمى أعلى جد ضيق فى أفقه ٠ فالمنهج الكلينيكى هو اصلح منهج لدراسة السلوك البشرى العيانى » (لاجاش ، ١٩٦٥ ، ص ٧٢ ــ ٧٣) ٠

قائمــة المراجــع

اولا : ـ المراجع العربيـــه : ـ

١ ـ ايزنك وهو (ترجمة) • قدرى حفنى ورءوف نظمى (١٩٦٩) والحقيقة والوهم فى علم النفس • القاهره : دار المعارف •

٢ ـ بونابرت : مارى (ترجمة) • صلاح مخيمر وعبده رزق (١٩٦٩) • سيكولوجية المرأه • القاهره ، الأنجلو المصرية •

٣ ـ جبيوم ، بول (ترجمة) صلاح مخيمر وعبده رزق (١٩٦٣) • علم نفس الجشطلت ، القاهره مؤسسة سجل العرب •

٤ ـ صلاح مخيمر (١٩٦٨) سيكولوجية الشخصية • القاهرة ، الأنجلو المصرية •

٥ ـ صلاح مخيمر (١٩٦٨) نحو نظرية ثورية فى التربية • القاهرة ، الانجلو المصرية •

٦ ـ صلاح مخيمر (١٩٧٥) المدخل الى الصحه النفسيه • القاهره ، الأنجلو المصــرية •

٧ ـ صلاح مخيمر (١٩٧٧) تناول جديد فى الأعصبة والعلاجــات النفسية - القاهره ، الانجلو المصرية •

٨ ـ فينخل أوتو • (ترجمة) صلاح مخيمر وعبده رزق (١٩٦٩) ٣ اجزاء نظرية التحليل النفسى فى العصاب : القاهرة : الأنجلو المصرية •

٩ ـ لاجاش ، دانييل (ترجمه) صلاح مخيمر وعبده رزق (١٩٦٥) وحده علم النفس • القاهرة ، الانجلو المصرية •

١٠ ـ محمد عبد الظاهر الطيب (١٩٧٧) • العصاب القهرى وتشخيصه باستخدام اختبار تفهم الموضوع • طنطا : مكتبة سماح •

١١ ـ مصطفى زيور (١٩٥٧) • مقدمه المجمل فى التحليل النفسى • لاجاش (ترجمة زيور والنقاش • القاهرة ، مكتبة النهضة المصرية •

١٢ ـ مصطفى زيور (بدون تاريخ) مقدمه كتاب انحراف الأحداث الجانحين تاليف كمال جندى أبو السعد • القاهرة ، دار المعارف •

١٣ ـ مصطفى زيور (١٨٦٣) تصدير أزمة علم النفس المعاصر • بوليتزير• ج •• (ترجمة) • لطف فطيم • القاهرة ، دار الكتاب العربى للطباعة والنشر • القاهرة الأنجلو المصرية •

١٤ ـ مصطفى زيور (١٩٦٩) تصدير كتاب علم النفس الكلينيكى والظاهر باتى القاهرة : الانجلو المصرية •

١٥ ـ مصطفى زيور (١٩٧٣) تصدير حالة رجـــل الفيران • فرويد • سيجموند (ترجمه) صلاح مخيمـر وعبده رزق • خمس حالات من التحليل النفسى • القاهرة ، الانجلو المصرية •

١٦ ـ هوسرل • ادموند (ترجمه) نازلى اسماعيل (١٩٧٠) تأمـــلات ديكارتيه مدخل الى الظاهريات • القاهرة ، دار المعارف •

١٧ ـ هوك • ك ولندزى ، ج (ترجمه) فرج أحمد فرج وآخرون (١٩٧١) نظريات الشخصيه • القاهرة ، النهضة المصرية للتاليف والنشر •

ثانيا : المراجع الاجنبية •

1 — Guillaume, P. (1942) Introduction a La psychologie, paris : vrin.

2 — Lagache, D. (1964) Fantaisie, Réalité, vérité ; Revue Française de psychanalyse. Tome xxvIIII No. 4, Juillet Aout.

3 — Lewin, K. (1935). A dynamic theory of personality. n.y : Mc Graw-Hill Book company.

4 — Munn, N. (1946). psycho logy. n.y : Houghton Miff Lin Company.

5 — Murray, H. (1940) what should psychologists do about psychoanalysis ? J. abnorn. Soc. psychol. 35, 150-175.

6 — Murrany, H.&Kluckhohn, C. (1953). outlin a conception of personality. in Kluckhohn&Murray and schnevder (Ed s). personality in nature, Society, and Culture. 2 nd Ed.v.y : Knopt.

7 — Tilquin, A. (1942). Le Behaviorisme-paris. vrin.

رقم الايداع ١٨٨٨/٩٨١

الترقيم الدولى ٩ ـ ٧٠ ـ ٧٣٤١ ـ ٩٧٧

دار التضامن للطباعة

٢٢ شارع سامى ـ ميدان لاظوغلى

تليفون ٣٠٥٥٦ ـ القاهرة



١١٦٠٨٨/٠١

٧٥